

عقائد باطلة ..
وقتن تُمَدُّ أعناقها

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية • تصدر عن جماعة أنصار السنة الحمدية • العدد ٥٠٩ - السنة الثالثة والأربعون - جمادى الأولى ١٤٣٥ هـ - الثامن جنيهان

دعاوى التأويل
والرد عليها



طول الأمل
وبغثة الأجل

وقال لكم اذوني تحركي

تذكير الأخلاء بأهمية الدعاء

السارق الذي لا تقطع يده

كما أن الناس يعرفون سرقة المتاع والدرهم والدينار، فهناك سرقة من نوع آخر؛ هي سرقة التراث الأدبي والأشعار، ويعتبرها الأدباء والشعراء أفظع من الأولى وأشد، وإن لم تقطع فيها اليد.

قال علماء البلاغة: اعلم أن معنى السرقة في الأشعار هي أن يسبق بعض الشعراء إلى تقرير معنى من المعاني واستنباطه، ثم يأتي بعده شاعر آخر يأخذ ذلك المعنى ويكسوه عبارة أخرى.

وقد أكثر الشعراء في ذم السرقة والسارق، حتى قال الشاعر طرفة الذي كان يتورع ويتبرا من هذه السرقة:

ولا أعبر على الأشعار اسرقها

عنها غنيت وشر الناس من سرقها

وقيل أيضاً في هذه السرقة: فلان لو خلا بالكعبة لسرقها!! وفي جواهر البلاغة للهاشمي: في السرقات الشعرية يقول: السرقة هي أن يأخذ الشخص كلام الغير، وينسبه لنفسه، وهي ثلاثة أنواع: نسخ، ومسح، وسلخ.

أ- النسخ: ويسمى انتحالاً أيضاً، وهو أن يأخذ السارق اللفظ والمعنى معاً، بلا تغيير ولا تبديل، أو بتبديل الألفاظ كلها، أو بعضها بمرادفها، وهذا مذموم، وسرقة محضه.

ب- المسح- أو الإغارة: هو أن يأخذ بعض اللفظ، أو يغير بعض النظم.

ج- والسلخ- ويسمى إلماماً، وهو أن يأخذ السارق المعنى وحده.

ولفظاعة هذه السرقة عن سرقة الذهب والفضة؛ كان استراق الشعر عند الشعراء، والأدب عند الأدباء، أفظع من سرقة البيضاء والصفراء، وغيرتهم على بنات الأفكار، كغيرتهم على البنات الأبيكار.

التحرير

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشا ، السعودية ٦ ريالات ، الامارات ٦ درهم ، الكويت ٥٠٠ فلس ، المغرب دولار أمريكي ، الاردن ٥٠٠ فلس ، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا ٢ دولار ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون
٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو مايعادلها .
ترسل القيمة بسويقت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة . حساب رقم /١٩١٥٩٠ .

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي : q.tawheed@yahoo.com

التحرير

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ، فاكس : ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام

هاتف : ٢٣٩١٥٤٥٦ - ٢٣٩١٥٥٧٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

تتقدم النماذج كرتونة كاملة تحتوي على ٤ مجلدات
مع مجلدات مجلة التوحيد عن ٤ سنة كاملة

مفاجأة
كبيرة

فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



جماعة أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز

رئيس مجلس الإدارة

د. عبد الله شاکر الجنيدي

الشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د. مرزوق محمد مرزوق

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي

طبعت بمطابع الأهرام التجارية، قليوب، مصر

منفذ البيع
الوحيد بهقرا
محلة التوحيد
الدور السابع

في هذا العدد

- ٢ افتتاحية العدد: الرئيس العام
٦ كلمة التحرير: رئيس التحرير
١٠ باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي
١٤ القلوب والفتن: د. جمال المراكبي
١٧ باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق
٢١ درر البحار: علي حشيش
٢٣ منبر الحرمين: الشيخ صالح بن حميد
٢٧ باب الاقتصاد الإسلامي: د. علي أحمد السالوس
٢٩ القصة في كتاب الله: عبد الرزاق السيد عيد
٣١ الرفق جماع الخير: عبده الأقرع
٣٣ باب التراجم: صلاح نجيب الدق
٣٦ واحة التوحيد: علاء خضر
٣٨ دراسات شرعية: متولي البراجلي
٤١ أنواع التربية المطلوبة: د. أحمد فريد
٤٣ أسئلة القراء عن الأحاديث: المحدث أبو اسحاق الحويني
٤٦ دراسات قرآنية: مصطفى البصراطي
نظرات في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم:
٤٩ جمال عبد الرحمن
٥٣ تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش
٥٧ دعاوى التأويل والرد عليها: د. محمد عبد العليم الدسوقي
٦١ الدعاء قرع لأبواب السماء: أحمد صلاح
٦٤ من عوامل الصبر والثبات: المستشار أحمد السيد علي
٦٦ باب الفقه: د. حمدي طه
٦٨ من سمات أهل الزيغ: د. عبد المحسن العباد
٧٢ باب الفتاوى

٧٥٠ جنهما شمع الكرتونة للأغراء والبيعات والكمسات
داخل مصر و٢٦٠ دولارا خارج مصر شاملة سعر الشحن

التوزيع الداخلي، مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن شأن الدعاء عظيم، وفضله كبير، ولا يستغني عنه العبد بحال، ولذلك أحببت أن أذكر نفسي وإخواني بأهمية الدعاء، خاصة في مثل هذه الأوقات التي تتطلب التوجه بصدق وإخلاص إلى من بيده الملك والملكوت، وهو الغني الحميد.

وحقيقة الدعاء: الرغبة إلى الله عز وجل وسؤاله والطلب، وفيه إظهار التوحيد والثناء على الله تبارك وتعالى. [انظر لسان العرب ج ١٤/٢٥٧].

وفي الاصطلاح: «استدعاء العبد من ربه العناية، واستمداده منه المعونة، وحقيقته: إظهار الافتقار إلى الله تعالى، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل وإضافة الجود والكرم إليه». [شأن الدعاء للخطابي ص ٤].

ويفهم من هذا التعريف أن الدعاء يُظهر حاجة العبد لربه، وفقره لغناه وسلطانه، وقد أخبر سبحانه أن أهل سماواته وأرضه يسألونه كما قال تعالى: «يَسْتَلِمُونَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» [الرحمن: ٢٩]، قال ابن كثير: وهذا إخبار عن غناه عما سواه، وافتقار الخلائق إليه في جميع الآتات، وأنهم يسألونه بلسان حالهم ومقالهم، وأنه كل يوم هو في شأن، قال قتادة: لا يستغني عنه أهل السماوات والأرض، يحيي حياً، ويُميت ميتاً، ويربي صغيراً، ويفك أسيراً، وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم، ومنتهى شكواهم. [تفسير ابن كثير ٣٥٥/٤، ٣٥٦].

ولهذا أمر الله عباده بدعائه في كتابه فقال: «وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» [غافر: ٦٠]، وقد أفادت الآية أن الدعاء عبادة؛ لأنه أمر بالدعاء، ثم ذكر كلمة العبادة محلها ليدل على أن الدعاء عبادة، وقد دلت السنة على ذلك كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدعاء هو العبادة»، وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم، انظر صحيح الجامع (٣٤٠٧). وهذا يدل على عظم شأنه وجلالة أمره، وهو نظير قوله صلى الله عليه وسلم: «الحج عرفة».

الترغيب في الدعاء:

وقد تكاثرت النصوص النبوية على الترغيب في الدعاء، ومن ذلك ما رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء». وسنده حسن، انظر صحيح الأدب المفرد (٥٤٩). وهو دال على فضل الدعاء وأهميته في حياة المسلم، وما هذه المرتبة السامية، والمنزلة العالية- والله أعلم- إلا لأنه يجتمع فيه من أنواع التعبد ما لا تجتمع في غيره، فهو روح العبادة ولبها، ويستدعي حضور القلب، وعبادة الله بالتوجه والقصد، والرجاء



افتتاحية
العبادة

تذكير

الأخلاء

بأهمية

الدعاء

بقلم / الرئيس العام

د/ عبد الله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

والتوكل، والرغبة فيما عنده، والرغبة من عذابه، ويستدعي عبادة اللسان من اللهج بالتمجيد والتحميد، والتقدیس والطلب والمسألة، ويستدعي عبادة البدن بالانكسار والاستكانة بين يدي الله تعالى والتذلل له، والتبرؤ من الحول والقوة إلا به مستغيثاً به وحده دون سواه. [انظر تصحيح الدعاء للشيخ بكر أبو زيد ص ١٧].

خطر ترك الدعاء وإهماله:

ومما يدل على فضل الدعاء ما رواه البخاري في الأدب المفرد والطبراني في الأوسط أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام»، وقد ورد هنا الحديث موقوفاً ومرفوعاً، وحسن الألباني الموقوف والمرفوع كما في الصحيحة (٦٠١).

وهذا يبين خطر ترك الدعاء وإهماله، ومن استكبر عنه، فهو متوعد بعذاب الجحيم، كما في التنزيل: **إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** [غافر: ٦٠]، وفي حديث الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من لم يسأل الله يغضب عليه». وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٦٥٤).

وقال المناوي في شرحه للحديث: «لأنه إما قانط وإما متكبر، وكلا الأمرين موجب للغضب، فهو سبحانه يحب أن يسأل وأن يلح عليه، ومن لم يسأله يبغضه، والمبغوض مغضوب عليه». قال ابن القيم: «هذا يدل على أن رضاه في مسألته وطاعته، وإذا رضي الرب تعالى فكل خير في رضاه، كما أن كل بلاء ومصيبة في غضبه، فهو تعالى يغضب على من لم يسأله، كما أن الأدمي يغضب على من يسأله، ورحم الله من قال:

الله يغضب إن تركته سؤاله

ويُنِيْ ادم حين يسأل يغضب

[انظر: فيض القدير ج ٣/١٢].

وقال المباركفوري: «لأن ترك السؤال تكبير واستغناء، وهذا لا يجوز للعبد، وقال الطيبي: وذلك لأن الله يحب أن يسأل من فضله، فمن لم يسأل الله يبغضه». [تحفة الأحمدي ١٢/٢١٣]. وملازمة الدعاء من أهم أسباب رفع البلاء، ورفع الشقاء، كما قال تعالى لخليله إبراهيم عليه السلام: **وَأَدْعُرِّيَّ عَسَىٰ أَن أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَهِيدًا** [مريم: ٤٨] أي: خائباً ضائع السعي، وفيه تعريض بشقاوتهم بدعاء الهتهم، مع التواضع له بكلمة «عسى»، وما فيه من هضم النفس ومراعاة حسن الأدب، والتنبيه على الإجابة والإجابة بطريق التفضل منه تعالى. [انظر محسن التأويل ج ١١/٤١٤٩].

ما أعظم شأن الدعاء والحاجة إليه!

وكم من بلية ومحنة رفعها الله بالدعاء وذهب ومعصية غفرها الله بالدعاء، وكم من فضل ورحمة ونعمة ظاهرة وباطنة استجلبت بسبب الدعاء، فما أعظم شأن الدعاء والحاجة إليه، ومما ورد في فضل الدعاء ما رواه الإمام أحمد وابن ماجه وغيرهما عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يرد القدر إلا بالدعاء». وحسنه الألباني في الصحيحة (١٥٤).

ومعناه: أن الله يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد، وذلك أن

كم من بلية ومحنة رفعها
الله بالدعاء! وكم من
ذنب ومعصية غفرها الله
بالدعاء! وكم من فضل
ورحمة ونعمة ظاهرة
وباطنة استجلبت بسبب
الدعاء! فما أعظم
شأن الدعاء والحاجة
إليه!

الدعاء من قدر الله تعالى، فهو سبحانه قد يقضى أمراً على عبده، ويقضى بأنه سيدعوه، فيزول هذا الأمر بقدر الله، ولا تعارض بينهما - بحمد الله - وهو يدل على أن الدعاء من أعظم الأسباب التي يستجلب العبد بها فضل ربه ومولاه، ويدفع عن نفسه أي مكروه أذاه، فالدعاء له تأثير في حصول المطلوب، ودفع الهموم بفضل الله تعالى، ومن ظن أنه مجرد عبادة محضة لا تأثير له فقد ضل عن سواء السبيل.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «... أمر الناس بالدعاء والاستعانة بالله وغير ذلك من الأسباب، ومن قال: أنا لا ادعو ولا أسأل اتكالا على القدر كان مخطئاً أيضاً؛ لأن الله جعل الدعاء والسؤال من الأسباب التي ينال بها مغفرته ورحمته وهداه ونصره ورزقه، وإذا قدر للعبد خيراً يناله بالدعاء لم يحصل بدون الدعاء، وما قدره الله وعلمه من أحوال العباد وعواقبهم فإنما قدره الله بأسباب يسوق المقادير إلى المواقيت، فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب، والله خالق الأسباب والمسببات، ولهذا قال بعضهم: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قبح في الشرع». [مجموع الفتاوى ج ٦٩/٨، ٧٠].

وهذا كلام نفيس للغاية، وهو يبين منزلة الدعاء، وأنه من قدر الله، ومن الأسباب المشروعة، وبه ينال العبد الخير المقدر، ولابن القيم رحمه الله عبارات فائقة في هذا المقام يحسن إيرادها هنا ليعم النفع بها بفضل الله:

قال: «أسباب كل خير أن تعلم أن ما شاء الله كان فتوقن حينئذ أن الحسنات من نعمه فتشكره عليها وتتضرع إليه أن لا يقطعها عنك، وأن السيئات من خذلانه وعقوبته فتبتهل إليه أن يحول بينك وبينها، وألا يكلك في فعل الحسنات وترك السيئات إلى نفسك، وقد أجمع العارفون على أن كل خير فاصله بتوفيق الله للعبد، وكل شر فاصله خذلانه لعبد، وأجمعوا أن التوفيق أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك، فإذا كان كل خير فاصله التوفيق وهو بيد الله لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجأ والرغبة والرغبة إليه، فمتى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقي باب الخير مرتجاً دونه، وما أتى من أتى إلا من قبل إضاعة الشكر وإهمال الافتقار والدعاء، ولا ظفر من ظفر بمشيئة الله وعونه إلا بقيامه بالشكر وصدق الافتقار والدعاء، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني لا أحمل هم الإجابة، ولكن هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه». [الفوائد ص ٩٧].

ولله دره من كلام جميل يدفع إلى صدق اللجأ والتضرع إلى الله بالدعاء، مع الرغبة والرغبة، ومن كان كذلك استجاب الله دعاه وأعطاه ما يتمناه، كما وقع لنبي الله زكريا عليه السلام الذي بلغ من الكبر عتياً، وكانت امرأته عاقراً، ولما توجه إلى الله بالدعاء مع الصدق والرغبة والرغبة، والإقبال على الطاعة ولزوم الاستقامة أحاب الله سؤاله، ورزقه الولد، قال الله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَاكَ مِنْ رِبِّكَ نَبَأَ كَبْرًا ۖ وَتَسْتَكْبِرُ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَقَّعْنَا رِيبَهُ لَا مَشْئُومَ كَرِيمًا ۖ وَأَنْتَ حِمْلُ الْكَرِيمِ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَقَّعْنَا رِيبَهُ لَا مَشْئُومَ كَرِيمًا ۖ وَأَنْتَ حِمْلُ الْكَرِيمِ﴾ ﴿٥٣﴾

أجمع العارفون على أن
كل خير فاصله بتوفيق
الله للعبد، وكل شر
فاصله خذلانه لعبد،
وأجمعوا أن التوفيق
أن لا يكلك الله إلى
نفسك، وأن الخذلان
هو أن يخلي بينك وبين
نفسك .

لَهُ يَحْيَىٰ وَنَسْحَانَ اللَّهِ رَبُّكَ اللَّهُ اللَّهُمَّ كُنَّا لَكَ مُسْتَرْغِبِينَ
فِي الْخَيْرَاتِ وَيَتُوكَا رَبَّكَ وَرَبَّكَ كُنَّا لَكَ خَائِبِينَ

[الأنبياء: ٨٩ - ٩٠]. وهذا من فضل الله وعظمته ورحمته بعباده، حيث هيأ لهم الأسباب ووقفهم إلى عمل الطاعات، وألهم الله زكريا الدعاء، ثم تفضل بالجواب، والآية أفادت أن الله استجاب دعاءه، وزوجه عاقراً وهو كبير السن، بسبب المسارعة في فعل الطاعات والخيرات مع الإلحاح على الله بالدعاء المقارن للخوف والرغبة، وما أعظم من قام ذلك في قلبه. وقد ورد في تفسير هذه الآية أثر عن عبد الله بن حكيم قال: خطبنا أبو بكر رضي الله عنه ثم قال: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تتقوا عليه بما هو له أهل، وتخلطوا الرغبة بالرغبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: **«لَهُمَّ كُنَّا لَكَ مُسْتَرْغِبِينَ وَيَتُوكَا رَبَّكَ وَرَبَّكَ كُنَّا لَكَ خَائِبِينَ»**. [تفسير ابن كثير ج ٣/٢٦٧].

ولابن الجوزي رحمه الله كلمات حول هذا المعنى تحت على الطلب والدعاء، مع التوبة والإنابة، والاستمرار على ذلك، فيقول: «إذا وقعت في محنة يصعب الخلاص منها فليس لك إلا الدعاء واللجأ إلى الله بعد أن تقدم التوبة من الذنوب؛ فإن الزلل يوجب العقوبة، فإن أزال الزلل بالتوبة من الذنوب ارتفع السبب، فإذا ثبت ودعوت ولم تر للإجابة أثراً فتفقد أمرك، فربما كانت التوبة ما صحت، فصحتها، ثم ادع ولا تمل من الدعاء، فربما كانت المصلحة في تأخير الإجابة، فانت تثاب وتجاوب إلى منافعك، ومن منافعك أن لا تعطى ما طلبت، بل تعوض غيره.

فإذا جاءك الشيطان فقال: إلى متى تدعو ولا تجاب؟ فقل: أنا أتعب بالدعاء، وأنا موقن أن الجواب حاصل، غير أنه ربما كان تأخيره لبعض المصالح مناسب، ولو لم يحصل التعب والذل، فأياك أن تسأل شيئاً إلا وتقرنه بسؤال الخيرة، فرب مطلوب من الدنيا كان حصوله سبباً للهلاك، وإذا كنت قد أمرت بالمشاورة في أمور الدنيا لجلبك لئيبين لك في بعض الآراء ما يعجز رأيك، وترى أن ما وقع لك لا يصلح، فكيف لا تسأل الخير ربك وهو أعلم بالصالح! والاستشارة من جنس المشاورة». [صيد الخاطر ص ٣٨٩، ٣٩٠].

والدعاء كما ينفع الأحياء، فهو كذلك للأموات الذين أفضوا إلى ربهم، بل هم من أحوج الناس إلى الدعاء بعد أن وارا هم التراب، وانقطعت بهم الأسباب، وصلاة الجنائز دعاء من الحي للميت، وشفاعة له، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر فيها من الدعاء للأموات، يقول الشيخ بكر بن

عبد الله أبو زيد: «وأما بعد الممات - يعني الدعاء - فهو من الصلوات التي يصل بها المسلم المسلم: **«رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ»** [الحشر: ١٠]. وفي الحديث الصحيح: «أو ولد صالح يدعو له» صحيح مسلم. وهو والصدقة يصلان إلى الميت بالإجماع. [تصحيح الدعاء ٢١].

ومن هنا فإني أذكر نفسي وإخواني بالدعاء للوالدين؛ لأن حقهما عظيم، والبر بهما واجب حتى بعد الممات، والدعاء والاستغفار - مع يسرهما - من أفضل أنواع البر بهما، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل لترفع درجته في الجنة، فيقول: أتى لي هذا» فيقال: باستغفار ولدك لك». وهو حديث حسن. انظر الصحيحة (١٥٩٨). والدعاء ينقسم إلى نوعين: دعاء مسألة، ودعاء عبادة، فدعاء المسألة: أن يطلب الداعي حاجته وما ينفعه ويكشف ضره من ربه كأن يقول: اعطني، ارزقني، ودعاء العبادة: أن تعبد الله بما شرع، من صلاة وزكاة، وبر، وصلة، وغير ذلك، والعبادة دعاء؛ لأن المتعبد لله طالب بلسان حاله ومقاله من ربه قبول تلك العبادة والإثابة عليها.

ومن أعظم ما يدخل فيها: ذكر الله وحمده والثناء عليه بما هو أهله، ولهذا لو سألت أي عابد مؤمن: ما قصدك بصلاتك وصيامك وحجك؟ لكان قلب المؤمن ناطقاً قبل أن يجيبك لسانه: قصدي رضا ربي ونيل ثوابه، والسلامة من عقابه.

يقول ابن تيمية: «ولفظ دعاء الله في القرآن يراد به دعاء العبادة، ودعاء المسألة، فدعاء العبادة يكون الله هو المراد به، ودعاء المسألة يكون العبد المراد منه» أي: من الله تعالى. [انظر النبوات ج ١/٤٤١].

ويقول الشيخ السعدي: «وكل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء، والنهي عن دعاء غير الله، والثناء على داعيه يتناول دعاء المسألة ودعاء العبادة، وهذه قاعدة نافعة، فإن أكثر الناس إنما يتبادر لهم من لفظ الدعاء - دعاء المسألة فقط - ولا يظنون دخول جميع العبادات في الدعاء، وهذا خطأ جرهم إلى ما هو شر منه، فإن الآيات صريحة في شموله لدعاء المسألة ودعاء العبادة». [القواعد الحسان: ١٥٤، ١٥٥].

ونوعاً الدعاء متلازمان، ذلك أن الله يدعى لجلب النفع ودفع الضر دعاء المسألة، ويدعى خوفاً ورجاء دعاء العبادة، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، أسأل الله باسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يوفقنا لكلا النوعين، وهو المجيب لمن دعاه، وصلى الله وسلم على حبيبه ومصطفاه.

الحمد لله مُعَزَّ من أطاعه واتقاه، ومُذَلُّ من خالف أمره
وعصاه، وبعد:

في مصر المسلمة عاش شعبيها المسلم، على مر العصور،
شعباً مؤمناً على أرض طيبة، تَلَفَّظ أصحاب العقائد
القاسدة، عاش معهم وفي كنف الإسلام شركاء في
الوطن من النصارى واليهود، ينعمون في ظل سماحة
وعدالة الإسلام، ولا يخفى على كل صاحب بصيرة
ما يحدث ويقع على أرض مصر صباح مساء، ممن
ينتسبون إلى جماعات ومسميات استباحت سفك
الدماء، واستحلَّتْها، وأصبح التفجير والقتل والتدمير،
وقطع الطرق، بدينها، تنشر فكر التكفير، وتستبيح معه
كل شيء.

ومع تعاظم الفتن التي أضحت تنخر في بنيان الشعب
المصري، ويُستباح معها كل شيء، تنتشر الأفكار الهدامة
بعد أن اندثرت وأضمحلت في السنوات الماضية،
وسرعان ما عادت تطل براسها عندما تهب لها مناح
الفتن البغيضة والصور الضبابية الكثبية، فأصبحنا
نرى على أرض مصر تفجيرات انتحارية، وأعمال قتل
وترويع، ووقفات احتجاجية تضرب الأخضر واليابس،
وحرق للسيارات، وتدمير للمباني والمنشآت، وحسبنا
الله ونعم الوكيل!!

مفاسد كبيرة .. وشورر عظيمة!!

لقد آلت أحوال البلاد والعباد إلى مدى مؤلم، وحد
يصيب الإنسان بالكآبة والألم والحزن على ما وصلت
إليه الأحوال في مصر.

وإن القلب ليحزن، وإن العقل ليذهل حين يرقب المسلم
هذه الأحداث من تفجيرات وقتل وقنص، وتربص، من
أقوام ضلوا الطريق، وتلوثت عقولهم بأفكار خاطئة،
وأعمال -مهما كان فاعلها ومهما كانت حُجته ودوافعه-
تتضمن مفاسد كبيرة وشورراً عظيمة، فيها قتل الأنفس
المسلمة وغير المسلمة ظلماً وعدواناً، رغم الوعيد
الشديد في ذلك، قال الله تعالى: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً
مُعْتَمِداً فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ جُزْءاً بما ترك فيها وَعَصِيبٌ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَلَعْنَةٌ وَأَعْدَاءٌ لَهُ عَدَاًباً عَظِيماً» [النساء: ٩٣]. وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: «لزوال الدنيا أهون على الله
من قتل رجل مسلم». [سنن الترمذي، ١٣٩٥، وصححه
الإلباني].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما
لم يصب دماً حراماً». [صحيح البخاري: ٦٨٦٢].
وحين قتل أسامة بن زيد رجلاً تاولاً بعد أن سمعه ينطق
بالشهادة، وقد ظنه متعوذاً بذلك، قال له صلى الله عليه

عقائد باطلة ..

وفتن تمدُّ

أعناقها!!

بقلم

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM

وسلم: «أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله» [صحيح البخاري ٤٢٦٩].

إن ما يقع على أرض مصر من أعمال شريرة تحصد عشرات الأرواح دون حق هي أفعال مستهجنة شنعاء، تتضمن البغي والظلم، فليس من أخلاق المؤمن الإقدام على تفجير نفسه وقتل الغير، وقطع الطرق على المسلمين، وتهديدهم بالسلاح، وحرق السيارات، وإشعال الحرائق وتفجيرات المنشآت، وشل حركة المواصلات، وتعطيل مصالح العباد، وقطع أرزاقهم، وإثارة الفوضى والهلع، وتعطيل الدراسة في المدارس والجامعات: إذ إن ذلك من أخلاق قطاع الطرق المفسدين في الأرض، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً، ومن شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً». [صحيح مسلم ١٠٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزغ في يده فيقع في حفرة من النار». [صحيح البخاري: ٧٠٧٢].

إن هذه الأعمال الإجرامية التي استباححت كل شيء فاستباححت الدماء وأهدرتها، تريد نشر الفوضى، تشيع الهلع وتثير الفزع، تروع الناس، وتؤجج نار الكراهية، وتشعل شرارة فتنة داخلية، تدمر فيها الطاقات، وتهدر فيها المكتسبات، وتشتت الجهود، وتعيق بناء الخير والتنمية، وتعطل مشاريع الإصلاح، وتقوض أركان البلاد، وتدمر الأخضر واليابس.

المؤمن أعظم حرمة عند الله من الكعبة

إن انتشار هذه الأفكار السامة، والعقائد الفاسدة، ودأب أصحابها على إيذاء المسلم ومكابدته، وإلحاق الشر به، وتهديده وترويعه وابتزازه، وتتبع عورته، ونشر هفوته، وإرادة إسقاطه وقضيحته، وتكفيره وتبديعه، وتفسيقه وقتاله، وحمل السلاح عليه، وسلبه ونهبه، وإيصال الأذى إليه بأي حال من الأحوال، لا يفعله إلا شيء مهين، لئيم وضع ذميم، قد شحن جوفه بالبغضاء والضغينة، وملا صدره بالكراهية والعداء، ينصب

إلى الكعبة يستنصر دار منى بل هي دار منى فبذلك أرى تستنصر تعلم الكعبة في مكة الأمان شر مسافر إلى مكة ومكة مشرفة هي حبره الذي كتب له ثم جملة الأيام والأيام مراحل مشرفة، فالكعبة الكعبة هي التي يجعل كل مرحلة نصب حبيبها ومنهم من جعلها سائلاً والثناء لها في جعل الأخرى نصب حبيبها.

الشرك ويربي سهام الخوف، دأبه أن يحزن أخاه ويؤذيه، وهمه أن يهلكه ويرديه، وكفى بذلك إثماً وذنبا، وفسوقاً، فعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع، فقال: «يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته بفضحه ولو في جوف رحله»، قال: ونظر ابن عمر يوماً إلى البيت أو إلى الكعبة، فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك». [أخرجه الترمذي ٢٠٣٢ وصححه الألباني].

وعن سهل بن معاذ عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من رمى مسلماً بشيء يريد شينه به (أي: غيبته) حبسه الله على جسور جهنم حتى يخرج مما قال». [أخرجه أبو داود ٤٨٨٥، وحسنه الألباني].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يحذله، ولا يحقره. التقوى ها هنا»، ويشير إلى صدره ثلاث مرات «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم؛ كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه». [أخرجه مسلم ٢٥٦٤].

فيا أيها المؤذي المعتدي العياب، يا من ديدنه الهمز واللمز والغمز، والتجسس والتحسس والتلصص، كف أذاك عن المسلمين، واشتغل بعيبك عن عيوب الآخرين، وتذكر يوماً توقف فيه بين يدي رب العالمين.

لَمَّا يَكْرَهُ الْمَظَالِمَ فَجَاهِدُوا وَلَا لِأَسْمَاءِ الْأَرْبَعِ
 بِجَاهِ مَا مَعَهَا فَكَلِمَةُ حَقِّهَا وَالْمَظَالِمُ سَهَابَةٌ
 وَالشَّيْرُ بِهَا، وَمَنْ كَتَبَ الْأَرْبَعِ بِالْمَرْوَةِ
 صَالِحًا، كَاتِبٌ حَقِّ الْكُفْرِ حَقًّا، لَمَّا الْمَظَالِمِ
 إِلَى الشَّحْوِ وَالْإِسَاءِ إِلَى الْعَهْلِ وَالْحَقِّ
 إِلَى شَرِّهِ وَالْإِسَاءِ

كَيْفَ أَمْسَابُ « [الأنفال : ٢٥] .

وإن ما يحدث على أرض مصر وبين شعبيها، وبأيدي
 أبنائها، والمتأمرين من أعدائها، الذين يشعلون
 الفتن، ويضعون الخطط والمؤامرات على مصر
 وشعبيها، فما بين فتنة يؤججونها بحقد وغل للنيل
 من نيلها وشريان حياتها في مجرى نهر النيل عبر
 السد الإثيوبي، وقتل المصريين في ليبيا، والتخاير
 والتجسس من كل دول العالم، وتنفيذ الخطط
 والمؤامرات الإسرائيلية بدعم وتمويل وتخطيط من
 أمريكا ورفقاء السوء الذين يؤازرونها ويدورون
 في فلكتها.. وهذا كله يدفع كل مسلم يعيش على
 أرض مصر أن يتذكر أن البلاد تدمر، واقتصادياتها
 تخرب، والحالة من سيئ لأسوء، والكروسي زائل،
 وسوف تقف أمام رب عظيم سيحاسبنا على الفخيل
 والقطمير، سيقف أمامه الملك والوزير، والفقير
 والغفير، لن تنفعكم المناصب ولا الكراسي، فلنعد
 إلى ربنا قبل فوات الأوان، فعمر الدنيا في جانب
 الآخرة قليل، قال الله تعالى: ﴿مَنْ حَسَبَهُ يَوْمَ يَمُوتُ
 وَهُوَ رَبُّكَ ذُو الْعِلْمِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٢٦، ٢٧]، وقال
 الله تعالى: ﴿وَرَبُّنَا يُقَدِّرُ الْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ وَهُوَ السَّمِيعُ
 الْعَلِيمُ﴾ [الرعد : ٢٦]، وقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل
 أحدكم أصبعه في اليم، فليتنظر بماذا يرجع».
 [صحيح مسلم ٢٨٥٨].

إن الدنيا ليست دار مقر، بل هي دار ممر، فمنذ أن
 تستقر قدم العبد في هذه الدار، فهو مسافر إلى ربه،
 ومدة سفره هي عمره الذي كتب له، ثم جعلت الأيام
 والليالي مراحل لسفره، فكل يوم وليلة مرحلة من
 المراحل، فلا يزال يطويها مرحلة بعد مرحلة حتى

قال يحيى بن معاذ -رحمه الله-: «ليكن حظ المؤمن
 منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه
 فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تدمه».

حَرَمَ اللَّهُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِهِ

فيا من ماتت ضمائرکم، وغلظت قلوبکم، وقد
 هانت بين أيديکم الدماء، واستحلتم الأعراس،
 خربت البلاد، حلت بين أرزاق العباد، اعلما أن
 الذنوب والمعاصي تعظم عقوباتها، ويتسع شرها
 وفسادها، وأن الظلم من الذنوب العظام والكبائر
 الجسام، يحيط بصاحبه ويدمره، ويفسد عليه
 أمره، ويغير عليه أحواله، ويدركه شؤمه وعقوبته
 في الدنيا والآخرة.

ولأجل كثرة مضار الظلم وعظيم خطره وتنوع
 مفاسده، وكبير شره حرّمه الله بين عباده، فقال
 تعالى في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ
 الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا
 تَظَالَمُوا». [مسلم ٢٥٧٧].

فالله سبحانه قد حرّم الظلم على نفسه -وهو يقدر
 عليه- تكملاً وتفضلاً وتنزيهاً لنفسه عن نقيصة
 الظلم، فإن الظلم لا يكون إلا من نفس ضعيفة لا
 تقوى على الامتناع على الظلم، ولا يكون الظلم إلا
 من حاجة إليه، والله سبحانه منزّه عن ذلك، فهو
 القوي العزيز الغني عن خلقه.

وحرّم الله الظلم بين عباده ليحفظوا بذلك دينهم،
 ويحفظوا دنياهم، ويصلحوا آخرتهم ودنياهم.
 والظلم يضّر الفرد ويهلكه ويوقعه في كل ما يكره،
 ويرى بسبب الظلم ما يسوؤه في كل ما يحب،
 الظلم يخرب البيوت العامرة، ويدع الديار خاوية.
 ولقد حذرنا الله من الظلم غاية التحذير، وأخبرنا
 سبحانه بأن هلاك القرون الماضية كان بسبب
 ظلمهم لأنفسهم لنحذر أعمالهم، فقال تعالى: «وَلَقَدْ
 أَفْلَحْنَا وَالْأَشْرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا تَلَأُوا لَأِئْمِنَهُمْ إِيْمَانَهُمْ
 يَالَيْتَ وَمَا كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ كَذَلِكَ نَجْرِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾
 ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ
 تَمْتَلِكُ» [يونس : ١٣، ١٤].

الدنيا عرض زائل.. فعاسب نفسك قبل أن تعاسب !!

إن الله سبحانه قد آجار هذه الأمة الإسلامية
 من الاستئصال العام، ولكنها تبطل بعقوبات
 دون الهلاك العام؛ بسبب ذنوب تقع من بعض
 المسلمين، وتضيع حتى لا تنكر، ولا ينزجر عنها
 أصحابها، كما قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا لَا
 كُفْرَ أَفَعَىٰ آلِهِمْ ظُلْمًا إِنَّكُمْ جَائِعَةٌ مُتَمَلِّئُونَ أَنفُسَكُمْ
 بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَتَذَكَّرُونَ» [الأنعام : ١١٠].

تَمَلِكُ أَنْ تَتَكَبَّرَ وَأَنْ تَتَكَبَّرَ وَأَنْ تَتَكَبَّرَ
 أَنْ تَتَكَبَّرَ وَأَنْ تَتَكَبَّرَ وَأَنْ تَتَكَبَّرَ

الإسرائيلي الأمريكي أن تخطو تلك الخطوات متدخلة لضرب مصر في أعز ما تملك؛ في نهر النيل شريان حياتها، ما كان ليحدث ذلك إلا بسبب ذنوبنا..

لقد أن للمنكرات أن تنكر، وأن لقنوات الفتنة أن تمنع وتغلق، وأن لدين الله أن ينصر، وأن للمسلمين في أنحاء مصر أن يتذكروا قول سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم: «مَنْ التَّمَسَّ رِضَا اللَّهِ بَسَخَطَ النَّاسَ كِفَاةً اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ التَّمَسَّ رِضَا النَّاسِ بَسَخَطَ اللَّهُ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ»، وفي لفظ: «مَنْ أَرْضَى اللَّهُ بَسَخَطَ النَّاسَ كِفَاةً اللَّهُ النَّاسِ، وَمَنْ أَسَخَطَ اللَّهُ بَرَضَى النَّاسَ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ». [أخرجه ابن حبان (١٥٤٢) وصححه الألباني].

إن من رام هدى في غير الإسلام ضل، ومن رام إصلاحاً بغير الإسلام ذل، ومن رام عزاً في غير الإسلام ذل، ومن أراد أمناً بغير التوحيد ضاع أمنه واختل، وصدق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عندما قال: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمضى ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله». [مستدرک الحاكم (٦١/١-٦٢) وصححه الألباني].

ولن يكون للباطل نماء، ولا لأهل الزيف بقاء مادمننا للحق دعاة وللعالم هداة، وللخير بناء، وميتى كنا أمرين بالمعروف صدقا، ناهين عن المنكر حقا، فإن الباطل إلى اندحار، وأهله إلى اندحار، والحق إلى ظهور وانتشار.

فاللهم كن لمصر على أعدائها ناصراً، ولشعبها من الفتن مسلماً، ومن المحن منجياً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ينتهي السفر، فالكييس الفطن هو الذي يجعل كل مرحلة نصب عينيه، فيهتم بقطعها سالماً غانماً، فإذا قطعها جعل الأخرى نصب عينيه، وهكذا.

وقد وصف القرآن الكريم الدنيا كزهرة بنضارتها، تسحر الأبواب، تستهوي القلوب، ثم لا تلبث إلا برهة حتى تذب وتلاشى تلك النضارة، وتحطمها الريح، كأنها لم تكن، هذا مثل الدنيا، زهرة فتانة غرارة نخدع وتعري، فإذا أقبلت عليها النفوس وتعلقت بها الأبواب انتهت أيامها واستحالت نضرتها إلى هشيم، فغدت نعمتها غروراً، وصدق الله القائل: «وَأَمْرٌ لَهُمْ مَثَلُ الْحَبَّةِ الدُّنْيَا كَمَا أُرْسِلَتْ مِنْ أَسْمَاءٍ فَاتَّخَذَتْ بِرِثَاتِ الْأَرْضِ فَاتَّخَذَتْ مِثْلًا تَدْرُونَ الرِّيحَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُتَفِينًا ﴿١٥﴾ النَّالُ وَالشُّؤْنُ رِيَّةَ الْحَبَّةِ الدُّنْيَا وَالنَّجِيثُ أَضْحِكْتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ قَوْلًا وَخَيْرٌ أَمَلًا» [الكهف: ٤٥-٤٦].

فالدنيا في مفهوم الإسلام وسيلة وذريعة لتحصيل مقاصد الشرع ومطية لآخرته، فإنها إذا فسدت فربما أدى فسادها إلى إنقاص الدين، فلا شك أن الدين سيضعف إذا وصل حال أهلها إلى قلة الأمن، وقلة الرزق، وكثرة القتل، فلا يقبل والحال هذه أن يقول مسلم: أنا أحفظ ديني وأدع الدنيا يُعَبِّثَ بها ويُفَسِّدَ فيها؛ لأن من صلحت حاله مع فساد الدنيا، واختلال أمورها، لن يعدم أن يتعدى إليه فسادها، ويقدم فيها اختلالها؛ لأنه منها يستمد، ومن فسدت حاله مع صلاح الدنيا وانتظام أمورها لم يجد لصلاحها لذة، ولا لاستقامتها أثراً؛ لأن الإنسان دنيا نفسه، قال الله تعالى: «وَلَا تَتَّبِعُوا مَثَلًا تَتَّبِعُوا مَثَلًا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَا تَتَّبِعُوا مَثَلًا مِمَّنْ ذُكِّرُوا بِهَا وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» [القصص: ٧٧].

فحاسب نفسك قبل الوقوف أمام علام الغيوب، وراجع أعمالك قبل فوات الأوان، وصدق من قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا».. فهل ترى كل منا يحاسب نفسه؟!

التوبة من أسباب رفع العذاب

إن ما يحدث على أرض مصر هو بسبب ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وما فعله السفهاء منا، فأظهروا الحاجة والاضطرار، والمسكنة والافتقار، وصدقوا في التوبة والاعتذار إلى الله الواحد القهار، فما نزل بلاءً إلا بذنب، ولا رُفِعَ إلا بتوبة!!

فيا أمة -بسبب ضعفها وهوانها- تجرأ عليها الصغار، فما كان لدولة مثل إثيوبيا ممثلة للتحالف

سورة فصلت

باب التفسير

الحلقة الرابعة

« وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضِلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أقدامنا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٧﴾ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهُنَّ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَدَّعُونَ ﴿٣٨﴾ قُرْآنًا مِّنْ عَفْوَهِمْ رَجِيمٌ ﴿٣٩﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٤١﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَإِن يَرَوْكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْجًا فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [فصلت: ٢٩ - ٣٦].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

« وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضِلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أقدامنا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ: »

اهل النار قسمان: اكابر متدعون، وضعفاء تابعون، وكان الاكابر سبباً في كفر الضعفاء، فلما اجتمعوا في النار، قال الضعفاء: «ربنا اربنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونوا من الاسفلين» في النار، ليدوقوا شديد العذاب؛ لان النار دركات، اعلاها اخفها عذاباً، واسفلها اشدها عذاباً، وقد تكرر سؤالهم هذا في اكثر من موضع، ولم يغن عنهم شيئاً، قال تعالى:

« قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمِّرٍ قَدْ حَلَّتْ مِن قَلْبِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا ذُكِرَتُ أُمَّةٌ لَّمْ نَسْتَأْذِنْهَا عَنَّا إِنَّا تَغَابُوا فِيهَا جِبْمًا قَالَتْ أَلْحَرْتُمْ لَأُولِيهِنَّ رَبَّنَا هُوَ الَّذِي أَضَلَّنَا فَنَجِئْتَهُمْ عَذَابًا جِئْتَهُم مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ وَقَالَتْ أُولِيهِنَّ لِأَحْرَبْتُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن

د. د. عبد العظيم بدوي

اعداد

فَقَسَلِ قَدُوفُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ، [الأعراف: ٣٨ - ٣٩]، وقال تعالى: « إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٣٦﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَلَا يَجِدُونَ لِئَالِيهِمْ وَلَا يُصِيبُهُمْ يَوْمَ تَنفَخَتُ فِي النَّارِ جُوفُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ بَلِئِنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٣٧﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَتَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٣٨﴾ رَبَّنَا تَابِعْنَا رَبَّنَا كِبْرًا وَتَبِعْنَا رَبَّنَا تَابِعْنَا رَبَّنَا كِبْرًا وَتَبِعْنَا رَبَّنَا كِبْرًا [الأحزاب: ٦٤ - ٦٨].

وقال تعالى: « هَذَا ذِكْرٌ لِّلطَّغْيِيِّ لَمَّا تَرَىٰ مَتَابِ ﴿٣٥﴾ حَتَّىٰ تَضَلُّوهُم مِّنَ الْمَهَادِ ﴿٣٦﴾ هَذَا قَدِ افْتَرَقُوا حِمِيًّا وَعَسَاقِي ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مِنْ شَكْلِهِمْ أَرْوَجَ ﴿٣٨﴾ هَذَا مَوْجٌ مُّتَّحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَا بِهِمْ إِذِمْ صَلَّىٰ النَّارَ ﴿٣٩﴾ قَالُوا مَلَأْنَا لَمْ نَرَحْنَا بِكَ أَشْرًا فَذَمُّوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْفَضْلُ ﴿٤٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا جِئْتَهُمْ فِي النَّارِ ﴿٤١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كَمَا تَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٤٢﴾ أَخَذْتَهُمْ سَخِرًا أَمْ رَأَيْتَ

عَنَّهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ عَجَازِمِ أَهْلِ النَّارِ * [ص: ٦٤ - ٥٥].

حقيقة الإيمان:

إن الإيمان ليس مجرد كلمات تُنطق، ولا حروف يترجمها اللسان، ولكن الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والأركان. والمراد بقول القلب: الاعتقاد، والمراد بقول اللسان النطق والإقرار، والمراد بعمل القلب: الأعمال الباطنة، من نحو الإخلاص، والإيمان، والإحسان، والتقوى، والخشية، والرغبة والرغبة، والخوف والرجاء، والمحبة والإنابة، والتوكل.

والمراد بعمل الأركان: الأعمال الظاهرة: من الصلاة والزكاة، والحج والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبر الوالدين وصلة الأرحام.

فهذه هي حقيقة الإيمان، قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

قال تعالى: «لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تَقُولُوا وَجْهَكُمْ بَدَلَ الشَّرِّقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالرِّسَالِ وَآمَنَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَبَيْنَ الْأَيْدِي وَالْأَنْفِ الَّذِينَ سَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» [البقرة: ١٧٧].

حقيقة الاستقامة:

وقوله تعالى هنا: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا» مجمل لهذا المفصل في سورة البقرة، فالقول هو قول القلب واللسان، كما ذكرنا، والاستقامة هي عمل القلب والأركان كما بينا. وللعلماء في قوله تعالى: «ثُمَّ اسْتَقَامُوا» قولان:

ثم استقاموا على هذا القول «رَبُّنَا اللَّهُ» حتى ماتوا عليه، وكان آخر كلامهم لا إله إلا الله، وبهذا وصى الله تعالى، فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» [آل عمران: ١٠٢].

لقد علم الله تعالى أن من الذين قالوا

ربنا الله من سيرجع عن هذا القول ويتخلى عنه، فقال سبحانه محذراً عباده: «مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» [المائدة: ٥٤]. فنسال الله تعالى أن يربط على قلوبنا، ويثبت الإيمان في صدورنا.

والقول الثاني في قوله تعالى: «ثُمَّ اسْتَقَامُوا» أي لم يروغوا وروغان الثعلب، وإنما استقاموا على صراط الله المستقيم، ففعلوا الواجبات، وتركوا المحرمات.

ومعنى ذلك أن الذين قالوا ربنا الله ولم يصلوا لم يستقيموا.

والذين قالوا ربنا الله ولم يصوموا لم يستقيموا. والذين قالوا ربنا الله ولم يزكوا لم يستقيموا.

والذين قالوا ربنا الله ولم يحجوا لم يستقيموا.

والذين قالوا ربنا الله وعقوا آباءهم لم يستقيموا.

والذين قالوا ربنا الله وقطعوا أرحامهم لم يستقيموا.

والذين قالوا ربنا الله واكلوا الربا لم يستقيموا.

والذين قالوا ربنا الله وشربوا الخمر لم يستقيموا.

والذين قالوا ربنا الله وزنوا لم يستقيموا.

فما أوجبنا في هذه الأيام إلى الاستقامة على دين الله، فإنها سبب الخروج من كل الأزمات التي يعاني منها الناس اليوم، قال تعالى: «وَأَلَّيْنَاكَ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِنَنَّكَ مَاءً عَذْبًا سَعْدًا ﴿١٦﴾ لَقَدْ نَزَّلْنَا بِنَاءً وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا» [الجن: ١٦ - ١٧].

جزاء أهل الاستقامة:

إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا «يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَّهَتْ لَهُمْ فِيهَا نُورًا مُّبِينًا» [التوبة: ٢١]، تحمل إليهم هذه البشيرة الملائكة، كما قال تعالى: «تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَفِي الْقَبْرِ، وَيَوْمَ الْبَعْثِ،

الاستقامة، «**وَتَوَاصُوا بِالنَّصِيحَةِ**» [العصر: ١-٣]، وقال تعالى: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا تَعِدُّوا عَلَىٰ نَفْسِكُمْ وَلَا يَحِزَبُوا فِي الْأَعْرَابِ مَن يُحِزِبْكُمْ فَإِن كَانَ عَدُوًّا لِّلرِّسَالَةِ فَعَدُوًّا لِّللَّهِ وَرَسُولِهِ أَلَا يَتَذَكَّرُ لِمَن يَدْعُوهُ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**» [المائدة: ١٠٥]، أي: إذا أمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، إذا استقمتم في أنفسكم، ودعوتهم غيركم إلى الاستقامة فلم يستجيبوا لكم، فليس عليكم من آثامهم شيء. ولما فهم بعض السلف من الآية أنه لا يضره من ضل وإن لم يدعه إلى الهدى، قام الصديق رضي الله عنه فصحح المفاهيم:

عن إسماعيل عن قيس قال: قال أبو بكر رضي الله عنه بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يا أيها الناس إنكم تفرعون هذه الآية وتضعونها على غير مواضعها «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا تَعِدُّوا عَلَىٰ نَفْسِكُمْ وَلَا يَحِزَبُوا فِي الْأَعْرَابِ**» [المائدة: ١٠٥]، وإنا سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب [سنن الترمذي ٥٠٥٠ وصححه الألباني].

فإذا رزقت الاستقامة فكن داعياً إلى الاستقامة. وإذا رزقت الهدى فكن داعياً إلى الهدى. وإذا رزقت الصلاح فكن داعياً إلى الصلاح، وهكذا.

واعلم أن الدعوة هي أشرف الوظائف على الإطلاق؛ لأنها وظيفة المصطفين الأخيار من الرسل واتباعهم، قال الله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: «**قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ أَدْعُوا إِلَىٰ مَن كَانَ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَوْ مَن تَتَّبَعْتَنِي وَسَعَنَ لِقَوْمِي وَأَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ**» [يوسف: ١٠٨].

«ومن أحسن قولاً استقهام إنكاري، ومعناه: لا أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى الله»، فاحسن الأقوال الدعوة إلى الله، وأحسن الكلام الكلام في الدعوة إلى الله، وقد بين صلى الله عليه وسلم فضل الدعوة في أحاديثه الشريفة: عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أبع بي فأحملني. فقال: ما عندي، فقال رجل: يا رسول الله: أنا أدله على من يحمه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من دل على خير فله مثل أجر فاعله» [صحيح

«ألا تخافوا، مما أنتم قادمون عليه، ونفي الخوف يستلزم ثبوت الأمن، «ولا تحزنوا» على ما تفارقون من أهل ومال وولد، ونفي الحزن يستلزم ثبوت الفرح والسرور، «وأنشروا بالحجة التي كنتم توعدون» على السنة الرسل، «نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة» أي تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءكم في الحياة الدنيا، أي قرناءكم في الحياة الدنيا، نسددكم ونوفقكم، ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة، نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم» أي في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهي النفوس وتقربه العيون، «ولكم فيها ما تدعون» أي مهما طلبتم وجدتم وحضر بين أيديكم كما اخترتم، «نزلنا من غفور رحيم»، أي ضيافة وعطاء وإنعاماً من غفور لذنوبكم، رحيم بكم رءوف، حيث غفر وستر ورحم ولطف. [تفسير ابن كثير(٩٩/٤)].

ولولا مغفرته ورحمته ما دخلتم جنته، كما في الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لن يدخل أحدا عمله الجنة. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا، ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضله ورحمته، فسددوا وقاربوا ولا ي تمنين أحدكم الموت إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعله أن يستعذب» [صحيح البخاري: ٥٦٧٣].

فضل الدعوة إلى الله:

«ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين»؛ لما حض الله تعالى على الاستقامة ورغب فيها، ذكر فضل الدعوة إلى الاستقامة؛ ليفيد أن استقامة الإنسان في نفسه لا تكفي لكمال نجاته، بل عليه أن يدعو غيره إلى الاستقامة، كما صرح ربنا سبحانه بذلك في أكثر من موضع، قال تعالى: «**وَالْقَصَصُ ١٠١ إِذْ أَرْسَلْنَا لِي حَسْبُ ١٠٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**» فاستقاموا في أنفسهم، «**وَتَوَاصُوا بِالْحَقِّ**» أي دعوا غيرهم إلى

مسلم: [١٨٩٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» [صحيح مسلم: ٢٦٧٤].

ويوم خبير أعطى النبي صلى الله عليه وسلم الراية لعلي رضي الله عنه وقال له: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يحب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم» [صحيح البخاري: ٣٧٠١].

فليحرص كل مسلم أن يكون داعية إلى الله، ابتغاء مرضاة الله.

وقوله تعالى: «وعمل صالحاً»: فهو توكيد على الداعية على الاجتهاد في صالح الأعمال، وأن لا ينشغل بالدعوة عن العمل في نفسه، فإن الدعوة بالعمل ابلغ من الدعوة بالقول، ولذلك قيل: عمل رجل في ألف رجل، خير من قول ألف رجل لرجل.

وفي توسيط الدعوة بين الاستقامة والعمل ما يؤكد على ضرورة استقامة الداعية في نفسه، واجتهاده في طاعة ربه، حتى لا يدخل في عموم قول الله تعالى: «أما أئمة أئمة يأبى وتمننوا أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون» [البقرة: ٤٤].

وقوله تعالى: «وقال إنني من المسلمين» فيه إشارة إلى اعتزاز الداعية الذي استقام على دين الله، ودعا إلى الله، واعتز بهذا الدين، وبهذا العمل، وبهذه الدعوة، وقال بكل فخر واعتزاز: إنني من المسلمين لله، المنقادين لأمره.

أخلاق الدعاة:

«ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم» (٣٤) وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم:

إنه لا بد للداعية من التخلق بكمكارم الأخلاق، حتى يستطيع تبليغ دعوته، وحتى يقبلها المدعوون، ومن أهم هذه الأخلاق: الحلم،

والصبر، والصفح، والعفو، والإحسان.

قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: أمر الله تعالى المؤمنين بالصبر عند الغضب، وبالحلم عند الجهل، وبالعفو عند الإساءة. [جامع البيان (١١٩/٢٤)].

فعلى الداعية أن يحلم على من يجهل عليه، وأن يعفو عن ظلمه، وأن يحسن إلى من أساء إليه.

قال الله تعالى: «خذ القوم وأمر بالقرين وأعرض عن المنهين» [الأعراف: ١٩٩]، وقال تعالى: «وسارعوا إلى معايرة من رئيسكم وخذوا منكم أنفسكم والذين أُعذت للمتقين» [الذين يُعفون في آثامهم والذين صبروا والمعافين عن آثامهم وألوه يومئذ المغيبين» [آل عمران: ١٣٣].

وقال تعالى: «والذين صبروا ابتغوا وجوه ربهم وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وكانوا راضين بما آتاهم وبالله يريدون الصلوة لوليتك من غيري ألد» [آل عمران: ١٠٢] حيث عين يطوبها ومن صلح من آباءهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴿١٠٣﴾ سلم عليكم بما صبرتم فبعم غفني الدار» [الرعد: ٢٢-٢٤].

فنجاح الداعية في دعوته متوقف على مكارم أخلاقه، ولذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: «مسا رحمته من الله ليت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وسخاوتهم في الأمر فإذا عرفت فقل كل على الله إن الله مجيب المسئولين» [آل عمران: ١٥٩].

«وإما ينزغك من الشيطان نزع فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم»:

يقول تعالى ذكره: وإما يلقي الشيطان في نفسك وسوسة من حديث النفس، إرادة حملك على مجازاة المسيء بالإساءة، ودعائك إلى مسأته، فاستجر بالله، واعتصم من خطواته، إن الله هو السميع لاستعاذتك منه واستجارتك به من نزغاته، ولغير ذلك من كلام وكلام غيرك، العليم بما ألقى في نفسك من نزغاته، وحدثك به نفسك، وبما يذهب ذلك من قلبك، وغير ذلك من أمور وأمور خلقه. [جامع البيان (١٢٠/٢٤)].

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

القلوب والفتن

الجلقة الثانية

د. جمال المراكبي



وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [الحج: ٥٢-٥٤].
فجعل الله سبحانه وتعالى القلوب في هذه الآيات ثلاثة: قلبين مفتونين، وقلبا ناجيا. فالمفتونان: القلب الذي فيه مرض، والقلب القاسي. والناجي: القلب المؤمن المخبث إلى ربه المطمئن إليه، المستسلم المنقاد، ولهذا القلب سمات وأوصاف نتحدث عنها في هذا اللقاء.

سمات القلوب المؤمنة الناجية:

أولاً: قلوب سليمة: قال الله تعالى: «وَلَا تُحِبُّوا يَوْمَ يَبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» [الشعراء: ٨٧-٨٩].
وقال تعالى: «وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِلْإِيزِيمِ ﴿٨٥﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُمْ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» [الصافات: ٨٣-٨٤].
والقلب السليم هو المبرأ من الشرك والكفر والنفاق والرياء، والدنس، والخطايا، وقد أخلص الإيمان لله، فآمن إيماناً صادقاً أنه لا إله إلا الله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.
قال ابن كثير: «إلا من آتى الله بقلب سليم» أي: سالم من الدنس والشرك.
وقال محمد بن سيرين: القلب السليم الذي يعلم أن الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.
وقال ابن عباس: «إلا من آتى الله بقلب سليم» حبي يشهد أن لا إله إلا الله.
وقال مجاهد، والحسن، وغيرهما: «قلب سليم» يعني: من الشرك.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فقد رأينا في المقال السابق كيف تكون القلوب حال الفتن، وكيف تنقسم إلى قسمين: أبيض ناصع صلب وصلد قد عصمه الله تعالى لا تفتنيه عن الحق فتنة.

وأخر أسود مبراد قد خالط بياضه سواد، اختلط عليه الحق والباطل فأصبح عاجزاً عن التمييز لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه.
وصدق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعْرِضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَعَرَضِ الْحَصِيرِ عَوْدًا عَوْدًا، فَإِي قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكَّتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَإِي قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكَّتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى تَعُودَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ: قَلْبٍ أَسْوَدٍ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجْحَبًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يَنْكُرُ مُنْكَرًا؛ إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ، وَقَلْبٍ أَبْيَضٍ، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ» [صحيح مسلم: ١٤٤].

وهذه هي القسمة الثنائية للقلوب بعد عرض الفتن، ومدى تأثيرها على قلوب بني آدم.
وقد ذكر لنا ربنا تبارك وتعالى في القرآن قسمة أخرى للقلوب، وهي: قلب حي سليم مخبت لين واع، وقلب يابس ميت قاس، والثالث مريض، فأما إلى السلامة أدنى، وإما إلى العطب أدنى.

قال الله جل وعلا: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَحَى إِلَّا إِنْ تَمَّحَّى إِلَى الشَّيْطَانِ فِي أُمِّيَّتِهِ. فَيَسْخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُجْعَلُكُمْ اللَّهُ مَائِدَةً. وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٣٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَائِمَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٣٣﴾»

ذكر الله ها هنا قولان: أحدهما: أنه ذكر العبد ربه فإنه يطمئن إليه قلبه ويسكن، فإذا اضطرب القلب وقلق فليس له ما يطمئن به سوى ذكر الله.

والقول الثاني: أن ذكر الله هاهنا القرآن وهو ذكره الذي أنزله على رسوله به طمانينة قلوب المؤمنين، فإن القلب لا يطمئن إلا بالإيمان واليقين، ولا سبيل إلى حصول الإيمان واليقين إلا من القرآن؛ فإن سكون القلب وطمأنينته من يقينه، واضطرابه وقلقه من شكه، والقرآن هو المحصل لليقين، الدافع للشكوك والظنون والأوهام فلا تطمئن قلوب المؤمنين إلا به، وهذا القول هو المختار، وكذلك القولان أيضا في قوله تعالى: « **وَمَنْ يَمَسُّ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ سَيِّطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** » [الزخرف: ٣٦]، والصحيح: أن ذكره الذي أنزله على رسوله وهو كتابه من أعرض عنه: قنُص وهو شيطاننا يضلّه ويصده عن السبيل وهو يحسب أنه على هدى.

والقلب المطمئن بذكر الله عز وجل يورث النفس طمانينة ورضى، قال الله تعالى: « **يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ** » [٣٥] **أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّضْمِتَةً** » [٣٦] **فَأَنزِلْ فِي عِبَادِي** » [٣٧] **وَأَنزِلْ حَتَّىٰ** [الفجر: ٢٧-٣٠].

رابعاً: قلوب خاشعة تلين لذكر الله
قال تعالى: « **أَمَّنْ سَخَّ اللَّهُ سَدْرَهُ لِإِسْمَاعِيلَ فَهَوَّ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ. قَوْلًا لِّقَبِيلِهِ قُلُوبِهِم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلِيَّتِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** » [٣١] **اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَابِيًّا فَنَشِعُرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْتَوُونَ رِجْلَهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهٖ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ** [الزمر: ٢٢-٢٣].

الخشوع في اللغة: السكون والطمأنينة والانخفاض.
والخشوع في الشرع: خشية من الله تداخل القلوب، فنظير آثارها على الجوارح بالانخفاض والسكون، كما هو شأن الخائف.

وقال سعيد بن المسيب: القلب السليم: هو القلب الصحيح، وهو قلب المؤمن؛ لأن قلب الكافر والمنافق مريض، قال الله: « **فِي قُلُوبِهِمْ نَمْرَئٌ** » [البقرة: ١٠].

وقال أبو عثمان النيسابوري: هو القلب الخالي من البدعة، المطمئن إلى السنة.

ثانياً: قلوب منيية
قال الله تعالى: « **وَأَنزَلْنَا لَجَنَّةَ الْإِنسَانِ عَذَابًا بَئِيدًا** » [٣١] **هَذَا مَا نُوْعِدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ** [٣٢] **مَنْ حَتَّىٰ الرَّحْمَنُ بِالْغَيْبِ وَحَاقَهُ بِقَلْبِ مُنِيبٍ** » [ق: ٣١-٣٣].

والقلب المنيب هو القلب السليم الخاضع لله المتواضع له الذي حقق الخشية من الله في السر والعلن والقول والعمل، فطوبى لمن كان له قلب مثل هذا القلب.

« **مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ** » أي: من خاف الله في سره: حيث لا يراه أحد إلا الله. كقوله عليه الصلاة والسلام: « **ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه** ». (متفق عليه).

« **وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ** » أي: ولقي الله يوم القيامة بقلب سليم منيب إليه خاضع لديه.

ثالثاً: قلوب مطمئنة

قال الله تعالى: « **الَّذِينَ آمَنُوا وَيَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** » [٣٨] **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُمْ** [الرعد: ٢٨-٢٩].

قال الماوردي: فيه أربعة أوجه: أحدها: بذكر الله بأفواههم، قاله قتادة. الثاني: بنعمة الله عليهم. الثالث: بوعدهم، ذكره ابن عيسى. الرابع: بالقرآن، قاله مجاهد.

قال ابن القيم في مدارج السالكين: « **الطمأنينة سكون القلب إلى الشيء وعدم اضطرابه وقلقه، ومنه الأثر المعروف: «الصدق طمانينة والكذب ريبة»**، أي: الصدق يطمئن إليه قلب السامع ويجد عنده سكونا إليه، والكذب يوجب له اضطراباً وارتباباً، ومنه قوله: (البر ما اطمأن إليه القلب) أي: سكن إليه وزال عنه اضطرابه وقلقه. وفي

وقال مجاهد: المخبت المطمئن إلى الله عز وجل، قال: والخبت: المكان المطمئن من الأرض.

وقال الأخفش: الخاشعون.

وقال إبراهيم النخعي: المصلون المخلصون. وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم.

وقد فسرت الآية المخبتين بما ورد بعدها عنهم: «الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُم وَالْمُتَّبِعِينَ أَصْلَافًا وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُقْبِرُونَ» [الحج: ٣٥].

سادسا: قلوب وجلة:

قال الله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ ذُرِّيَّتِهِمُ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُعِيتُونَ أَصْلَافًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقْبِرُونَ ﴿٢﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴿٣﴾ هُمُ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» [الأنفال: ٢-٤].

قال مجاهد: «وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» فرقت، أي: فرقت و خافت.

وهذه صفة المؤمن ، الذي إذا ذكر الله وجل قلبه، أي: خاف منه، ففعل أوامره، وترك زواجره. كقوله تعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِيصَةً أَوْ طَلَمُوا أَنفُسَهُمْ دَكَّرُوا اللَّهَ فَأَسْتَفْتَرُوا بِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُبْصِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ» [آل عمران: ١٣٥].

وكقوله تعالى: «وَأَمَّا مَنْ حَانَ مَقَامَ رَبِّهِ وَتَهُى النَّفْسَ فِي الْمَوْتِ ﴿٥﴾ فَإِنَّ نَفْسَهُ هِيَ النَّارُ» [النازعات: ٤٠، ٤١].

ولهذا قال سفيان الثوري: سمعت السدي يقول في قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» قال: هو الرجل يريد أن يظلم أو يهجم بمعصية، فيقال له: اتق الله فيوجل قلبه.

والحمد لله رب العالمين.

وقوله تعالى: «لذُكِرَ الله»، الأظهر منه أن المراد خشوع قلوبهم لأجل ذكر الله، وهذا المعنى دل عليه قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ

اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» [الأنفال: ٢] أي: خافت عند ذكر الله، فالوجل المذكور في آية الأنفال هذه، والخشية المذكورة هنا معناهما واحد.

وقال بعض العلماء: المراد بذكر الله: القرآن، وعليه فقوله: «وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ» من عطف الشيء على نفسه مع اختلاف اللفظين، كقوله تعالى: «سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ ﴿١﴾ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا

والله على هذا القول، فالآية كقوله تعالى: «اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْقُرْآنِ كِتَابًا مَّتَّعْنَا بِهَا مَنَاقِبَ نَفْسَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ» [الزمر: ٢٣]، فالاقشعرار المذكور، ولين الجلود والقلوب عند سماع هذا القرآن العظيم المعبر عنه بأحسن الحديث، يفسر معنى الخشوع لذكر الله، وما نزل من الحق هنا كما ذكر. (أضواء البيان).

والخشوع يكون في القلب، ويبدو أثره على البدن، في السمع والبصر والعظم والعصب، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوع الصلاة: (اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي). صحيح مسلم.

خامسا: قلوب تقية مخبئة متواضعة لله: قال الله تعالى: «وَلْيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَخُوبُوا بِرَبِّهِمْ قَدْ خَلَقْتَهُمْ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» [الحج: ٥٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: التقوى هاهنا، وأشار إلى صدره.

قال ابن عباس: المخبتون هم المتواضعون.

إشهار

تشهد مديرية التضامن الاجتماعي بالشرقية، أنه قد تم إشهار فرع جمعية أنصار السنة المحمدية، بكفر صقر، تحت رقم (٣١٩٧) بتاريخ ٢٠١٤/١/٥م، وذلك طبقاً لأحكام القانون رقم ٨٤ لسنة ٢٠٠٢م ولائحته التنفيذية.

والله ولي التوفيق

طول الأمل وبخلة الأجل

د. مرزوق محمد مرزوق

اعداد

باب السنة

(تقريب التهذيب (٧٥٥٦/١) ط١/دار الرشيد).

قائده:

معنى قول الحافظ: «من التاسعة»: هي الطبقة الصغرى من أتباع التابعين كالثقفي الإمام فهو منها أيضا.

٣- سفيان: هو ابن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي، ثقة حافظ، فقيه عابد، إمام حجة من رعوس الطبقة السابعة، وكان ربما دلس، مات سنة إحدى وستين وله أربع وستون (تقريب التهذيب (٢٤٣٦/١).

قائدتان:

- معنى قول الحافظ من السابعة: أي من كبار أتباع التابعين. (انظر: مقدمة التقريب).

- الجواب عن قول الحافظ عن سفيان "ربما دلس" ومع ذلك يخرج له البخاري: قسم الحافظ المدلسين إلى خمسة طبقات وذكر اتفاق العلماء على قبول أصحاب الطبقة الأولى والثانية، وبدأ الخلاف من بداية الطبقة الثالثة، والحمد لله، فقد صنّف سفيان الثوري رحمه الله على أنه من أصحاب الطبقة الثانية فقال: "من احتمل الأئمة تدليسه، وأخرجوا له في الصحيح لإمامته وقلة تدليسه في جنب ما روى كالثوري". (طبقات المدلسين (ص ١٣) ط١/ مكتبة المنار).

٤- أبو سفيان: هو سعيد بن مسروق الثوري ثقة مات سنة ست وعشرين وقيل بعدها (تقريب التهذيب (٢٣٨٩/١).

٥- منذر: بضم الميم وسكون النون وكسر الذال المعجمة بعدها راء ابن يعلى الثوري، الكوفي ويقال (المنذر) ابن يعلى الثوري ثقة (تقريب التهذيب (٦٨٨٤/١).

٦- ربيع بن خثيم: وقيل: الربيع بن خثيم - بضم المعجمة وفتح المثناة - ابن عائذ بن عبد الله الثوري أبو يزيد الكوفي ثقة عابد مخضرم من الثانية، قال له ابن مسعود: (لو رأك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك). مات سنة إحدى وثلاث وستين (تقريب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: لا يعرف الدواء من لا يقف على الداء، وطالب الدنيا كشارب من ماء مالح، كلما شرب منه ازداد عطشا، وقد رأينا من جمع كثيرا وبني مشيدا وأمل بعيدا، فأصبح جمعهم بورا، وبنيتهم قبورا، وأملهم غرورا. روى الإمام البخاري في صحيحه قال: حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال حدثني أبي عن منذر عن ربيع بن خثيم عن عبد الله رضي الله عنه قال: خط النبي صلى الله عليه وسلم خطا مريعا، وخط خطا في الوسط خارجا منه، وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به، وهذا الذي هو خارج أمه، وهذه الخطط الصغار الأعراض: فإن أخطأ هذا نهشه هذا، وإن أخطأ هذا نهشه هذا.

أولا: العزو (مقتصرًا على الكتب الستة):

- ١- (صحيح البخاري (٢٣٥٩/٥) رقم (٦٠٥٤)، في كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله. ط/دار ابن كثير)
- ٢- والترمذي (٦٣٥/٤) رقم (٢٤٥٦) في كتاب الزهد، باب أمل الإنسان وأجله ط/دار إحياء التراث العربي - تحقيق: أحمد شاكر).
- ٣- وابن ماجه (١٤١٤/٢) رقم (٤٢٣١) في كتاب الزهد، باب النية، ط/دار الفكر، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقى).
- ٤- والنسائي في السنن الكبرى (٣٧٧/١٠) رقم (١١٧٦٤) كتاب الرقاق ط/دار الكتب العلمية، تحقيق: د/عبد الغفار البنداري وغيره.

ثانيا: (رجال الإسناد باختصار)

١- صدقة بن الفضل: هو المروزي الحافظ قال الذهبي في الكاشف: إمام ثبت: (الكاشف (٥٠٢/١) ط١/دار القبلة).

٢- يحيى بن سعيد: هو ابن فروخ - بفتح الفاء وتشديد الراء المضمومة وسكون الواو - أبو سعيد القطان البصري، ثقة متقن حافظ، إمام قدوة، من كبار التاسعة، مات سنة ثمان وتسعين وله ثمان وسبعون

معنى قول الحافظ «مخضرم من الثانية» أنه عاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أنه لم يسلم إلا بعد موته، وعليه فهو ليس بصحابي، ويعد من كبار التابعين وهم أصحاب الطبقة الثانية.

٧- وعبد الله: هو ابن مسعود الصحابي الجليل (انظر ترجمته في حلية الأولياء لأبي نعيم ١/١٢٤) وغيره من كتب تراجم الصحابة).

قائده على كتاب التقريب:

قسم الحافظ الرواة إلى اثنتي عشرة مرتبة واثنتي عشرة طبقة، أما المراتب فحسب درجة توثيقهم، فبدأ بالصحابة طبعاً، ثم من أكد توثيقهم كان يقول: أوثق الناس، ثم بمن تفرد بصفة كان يقول: ثقة.. وهكذا تقل درجة التوثيق ونحن نسير إلى أن انتهى إلى المرتبة الثانية عشرة، وهو من اطلق عليه اسم الكذب والوضع، وأما الطبقات فبحسب ترتيبهم الزمني، وليس لكل طبقة مدة زمنية متساوية مع التي بعدها كما يظن البعض، فكانت الطبقة الأولى هي طبقة الصحابة ثم كبار التابعين ثم.. وهكذا (انظر تقريب التهذيب ٧٥ و٧٦).

ثالثاً: (الشرح)

١- قوله: (خط النبي خطأ مربعاً): الظاهر أنه كان بيده المباركة على الأرض. قال الطيبي [رحمه الله]: المراد بالخط الرسم والشكل أي رسم شكلاً مربعاً. (مراجعة المفاتيح ٤٥٢/٩ ط١/دار الكتب العلمية).

٢- قوله: (وخط خطاً في الوسط خارجاً منه): أي خارجاً من المربع، (وخط خططاً) بضم الخاء المعجمة والطاء الأولى للأكثر، وجوز فتح الطاء، أي خطوطاً (صغاراً) جمع صغيرة (إلى هذا) أي متوجهة ومائلة ومنتهية إلى هذا الخط (الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط) أي: من جانبيه اللذين في الوسط. فالمراد بالمفرد الجنس، ولا يراد به جهة واحدة من جهتي الخط. (انظر: مراجعة المفاتيح ٤٥٢/٩).

٣- قوله صلى الله عليه وسلم: (هذا الإنسان): مبتدأ وخبر أي: هذا الخط الذي في الوسط (قبل أن يخرج ويمتد خارج المربع) هو الإنسان على سبيل التمثيل (وهذا أجله محيط به) إشارة إلى المربع (أو) (قد أحاط به) بالشك من الراوي، (وهذا) الخط المستطيل المنفرد (الذي هو خارج) من وسط الخط المربع (أمله، وهذه الخطط) (الصغار): أي الشطبات التي في الخط الخارج من وسط المربع من أسفله أو من أسفله وأعلاه هي: (الأعراض) بالعين المهملة والضاد المعجمة أي:

الآفات العارضة له كمرض أو فقد مال أو غيرهما، أو المراد بالخطوط المثال لا عدد مخصوص معين. «انظر: إرشاد الساري للقسطلاني (٩/٢٣٩)».

٤- قوله: (فإن أخطأ هذا): أي أحد الأعراض (نهشه) بمعجمة، وقيل بسين مهملة: أي أصابه وعضه. (هذا) أي عرض آخر. وعبر عن الإصابة بالنهش وهو لدغ ذات السم، مبالغة في المضرة (وإن أخطأ هذا) أي عرض آخر (نهشه هذا) أي: عرض آخر وهلم جزاً إلى انقضاء الأجل وعدم انتهاء الأمل «انظر: مرقاة المفاتيح (٩/٤٥٢)».

رابعاً: في رياض الحديث

إن المرء من يوم أن يولد إلى يوم أن يموت وهو عرضة للمصائب والآنكاد قال تعالى: «لقد خلقنا الإنسان في كبد»

وما أجمل قول من قال: ألم تروا مصارع من كان قبلكم، كيف استدرجتهم الدنيا بزخارفها، ثم تركتهم وقد تخلت عنهم، فهم في حيرة وظلمة، تركوا العيال والأموال، سكنوا القبور وقد تخلت عنهم الدور، صاروا تراباً بالياً، وكان الله عز وجل لهم ناهياً، قال تعالى: (فَلَا تَغْرِبْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ).

نكي على الدنيا وما من معسر

جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا

أين الأكاسرة الجبابرة الألى

كنزوا الكنوز فما يقين ولا بقوا

فإن قيل ما السبب في حب الدنيا والتكالب عليها مع كثرة آنكادها، فالجواب: قلة المعرفة بها وبما يجب نحوها.

ولقد أخبرنا حبيبنا صلى الله عليه وسلم في حديثنا هذا بأصل الداء، فضرب مثلاً للإنسان بأنه نقطة أو خط وسط مربع محيط به هو أجله، وخط خارج من هذا الإنسان، ويمتد خارج المربع هو أمله، والمربع هو الأجل المقدر والذي يقطع ذلك الأمل الطويل، فكان أصل الداء هو عدم تقدير الأمور حق قدرها.

إن الإنسان بفطرته يحب الحياة ويحرص على الرزق الذي هو مطلق ما ينتفع به، وهو مأمور بذلك شرعاً، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» [مسلم (٤/٢٠٥٢)].

إلا أن المؤمن يعلم يقيناً أن الذي يهب له الحياة ويمد

له في العمر، هو الله، وأن الذي ينزع منه هذه الحياة هو الله، وأن سعيه للرزق محكوم بمشيئة الله، فإن كان الأمر كذلك وكان الداء كما أسلفنا فما هو الدواء؟

إن قصر الأمل بضوابطه الشرعية (والتي أشرنا إليها من خلال حديث مسلم المتقدم ويأتي مزيد توضيح لها في الفوائد والتطبيقات) هو جزء من علاج الداء. يقول الشيخ حافظ حكيمي رحمه الله: «إن المقصود الأعظم (من قصر الأمل): التاهب للموت قبل نزوله، والاستعداد لما بعده قبل حصوله، والمبادرة بالعمل الصالح، والسعي النافع قبل دهوم البلاء وحلوله: إذ هو الفيصل بين هذه الدار وبين دار القرار، وهو الفصل بين ساعة العمل والجزاء عليه، والحد الفارق بين أو ان تقديم الزاد والقدوم عليه؛ إذ ليس بعده لأحد من مستعجب ولا اعتذار، ولا زيادة في الحسنات ولا نقص من السيئات، ولا حيلة ولا افتداء ولا درهم ولا دينار، ولا مقعد ولا منزل إلا القبر، وهو إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار إلى يوم البعث والجزاء وجمع الأولين والآخرين واهل السموات والأرضين والموقف الطويل بين يدي القوي المتين... قال الله تعالى: (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠] الآيات. (معارج القبول (٧٠٨/٢)، ط/دار ابن القيم).

خامسا: السلف وطول الأمل

لقد بلغ قصر الأمل بالسلف بالصالح مبلغا عظيما، ولولا النقل الصحيح لقلنا: هذا ضرب من الخيال أو شيء محال، ومن ذلك:

روى الإمام أبو بكر ابن الدنيا بسنده في (قصر الأمل)، ط/دار ابن حزم، تحقيق: محمد خير: - عن شريك بن عبد الله في تفسير قوله عز وجل: (فتنتم أنفسكم) قال: بالشهوات واللذات. وتربصتم (قال: بالتوبة) وارتبتم (قال: شككتم) حتى جاء أمر الله (قال: الموت) وغرکم بالله الغرور). (قصر الأمل (١١٧).

- وعن عبد الرحمن بن يزيد - وكان له حظ من دين وعقل - قال لبعض أصحابه: أبا فلان، أخبرني عن حالك التي أنت عليها، أترضاها للموت؟ قال: لا. قال: فهل أزمعت التحويل إلى حال ترضاهما للموت؟ قال: لا والله، ما تآقت نفسي إلى ذلك بعد، قال: فهل بعد الموت دار فيها معتمل؟ قال: لا. قال: فهل تأمن أن ياتيک الموت وانت على حالك هذه؟ قال: لا. قال: ما

رأيت مثل هذه حالا رضي بها وأقام عليها - أحسبه قال - عاقل. (قصر الأمل ص ٧٠).

- وعن يزيد الرقاشي أنه قال: «إلى متى نقول: غدا أفعل كذا، وبعد غد أفعل كذا، وإذا أفطرت فعلت كذا، وإذا قدمت من سفري فعلت كذا! أغفلت سفرك البعيد، ونسيت ملك الموت؟ أما علمت أن ملك الموت غير مُنتظر بك أملك الطويل؟ أما علمت أن الموت غاية كل حي، أيها المغتر بشبابه، أيها المغتر بطول عمره، ثم يبكي حتى يبيل عمامته! (انظر: قصر الأمل (٧١)).

يا أيها الذي قد غرّه الأمل

ودون ما يأمل التنغيص والأجل

الأ ترى أنما الدنيا وزينتها

كمنزل الركب دارا ثمة ارتحلوا

إلى أن قال:

المرء يشقى بما يسعى لوأثرته

والقبر وارث ما يسعى له الرجل

(قصر الأمل: ص ٧٣).

- ويقول ابن الجوزي (في صفة الصفوة، ط٢/دار المعرفة (٣٤/٤):

كانت عُفيرة العابدة لا تضع جنبها إلى الأرض في ليل، وتقول: «أخاف أن أؤخذ على غرة وأنا نائمة!!» - وعن الربيع بن عبد الرحمن قال: «قطعتنا غفلة الأمل عن مبادرة الأجل، فنحن في الدنيا حيارى... إلى أن قال: إن تحسن أيها المرء يحسن إليك، وإن تسيء فعلى نفسك بالعقب فأرجع، فقد بين وأعذر وأنذر، فما للناس على الله حجة بعد الرسل، وكان الله عزيزا حكيم». (٣٥٤/٣).

- وفي كتاب الزهد لأبن حنبل رحمه الله ط٢/تحقيق: عبدالعلي عبدالحميد:

- كان الحسن البصري - رحمه الله - يقول: «ما أكثر عبد ذخر الموت إلا رُئي ذلك في عمله، ولا طال أمل عبد قط إلا أساء العمل». (ص ٢٣٩).

- وعن عطاء الأزرق قال: سمعت رجلا سأل الحسن كيف أنت؟ كيف حالك؟ قال: بأشر حال، وما حال من أصبح وأمسى ينتظر الموت لا يدري ما يفعل الله به. (ص ٢٦٢).

- وروى البيهقي في الزهد الكبير، ط٣: مؤسسة الكتب الثقافية - تحقيق: عامر أحمد حيدر بسنده عن منازل بن سعيد يقول: صلينا خلف جنازة فيها داود الطائي وهو لا يراني خلفه، فقال: أوه (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون)، ثم قال لنفسه: يا داود من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال

الله قوله: **الْأَمَلُ مَذْمُومٌ لِلنَّاسِ إِلَّا لِلْعُلَمَاءِ، فَلَوْلَا أَمَلُهُمْ لَمَا صَنَفُوا وَلَا الْفَوَا.** (فتح الباري لابن حجر ٢٣٧/١١).

قلت: وكذلك طول الأمل بالنسبة لأعمال الدنيا المتعدي نفعها للغير والتي لا تؤثر على القلب بالسلب فهي تعد من الأمل المحمود؛ لأن الإنسان يؤجر عليها. - بعض الناس يظن أن قصر الأمل معناه ترك العمل، وهذا خطأ، والصواب كما قال ابن حجر رحمه الله: وفي الأمل سرٌ لطيف لأنه لولا الأمل ما تهنى أحدٌ يعيش، ولا طابت نفسه أن يشرع في عمل من أعمال الدنيا، وإنما المذموم منه الاسترسال فيه. (فتح الباري لابن حجر ٢٣٧/١١).

وختاماً:

علينا الآن أحبتي في الله أن نتوب توبة عامة، ثم أن ننوي نية عامة بالتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله، وأختم بكلام مستفاد من كلام ابن أبي الدنيا في (قصر الأمل) عن عبيدالله بن شميظ بن عجلان قال: "سمعت أبي يقول: "إن المؤمن يقول لنفسه: إنما هي أيام ثلاثة، فقد مضى أمس بما فيه، وغدا أمل لعلك لا تدركه، وبينهما يوماً وليلة تخترم فيه أنفُسٌ كثيرة، لعلك المخترم فيها، ومع ذلك قد حَمَلت على قلبك الضعيف هم السنين والأزمنة، وهم الغلاء والرخص، وهم الشتاء قبل أن يجيء الشتاء، وهم الصيف قبل أن يجيء الصيف، فماذا أبقيت من قلبك الضعيف لأخرته؟ كل يوم ينقص من أجلك وأنت لا تحزن، وكل يوم تستوفي رزقك وأنت لا تحزن، طالبت أمالككم، فجددتم منازلكم من الدنيا، وطيبتم منها معاشكم، وتلذذتم فيها بطيب الطعام، ولين اللباس، كأنكم للدنيا خلقتكم! أو لا تعلمون أن الموت أمامكم؟

أيها المغتر بصحته، أما رأيت ميتاً قط من غير سقم؟ أيها المغتر بطول المهلة، أما رأيت مأخوذاً قط من غير عذبة؟ إنك لو فكرت في طول عمرك، لنسيت ما قد تقدم من لذاتك، أبالصحة تغترون؟ أم بطول العافية ترحون؟ أم للموت تأمنون؟ أم على ملك الموت تحترنون؟ إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروة مالك، ولا كثرة احتشادك، أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط، رحم الله عبداً نظر لنفسه قبل نزول الموت (ص ٥٨).

اللهم إن نعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة، ونعوذ بك من حياة تمنع خير الممات، ونعوذ بك من أمل يمنع خير العمل، والحمد لله رب العالمين.

أمله قصر عمله، وكل ما هو أت قريب. واعلم يا داود أن كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشتموم، واعلم يا داود أن أهل الدنيا جميعاً من أهل القبور إنما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فيما عليه أهل القبور يندمون عليه أهل الدنيا يقتتلون فيه يتنافسون، وعليه عند القضاء يختصمون، ثم نظر إلي، فقال لو: علمت أنك خلفي لم انطق بحرف. (٢٠٩/١).

- ويسنده عن عبدالله بن المعتز أنه أشد فقال:

الدهر يبلى وأمال الفتى جدد

تزيد أماله والدهر يفتنيها

ليل وصيح وأجال مقدورة تمضي

ونمضي ونطوبينا ونطوبها

- ويفسر ابن رجب في (جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لابن رجب ط/٧/مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط/ إبراهيم باجس) معنى قصر الأمل فيقول: قال داود الطائي: سألت عطوان بن عمرو التيمي قلت: ما قصر الأمل؟ قال: ما بين تردد النفس، وكان محمد بن واسع إذا أراد أن ينام قال لأهله: أستودعكم الله، فلعلها أن تكون منيتي لا أقوم منها. وكان هذا دأبه إذا أراد النوم. وقال عون بن عبدالله: ما أنزل الموت كنه منزلته من عذبة من أجله؛ كم من مستقبل يوماً لا يستكملها؛ وكم من مؤمل لغد لا يدركه؛ إنكم لو رأيتم الأجل ومسيره لبغضتم الأمل وغرور، وكان يقول: إن من أنفع أيام المؤمن له في الدنيا ما ظن أنه لا يدرك آخره. (٣٨٤/١).

سادساً: ما استفاد من الحديث:

- في الحديث إشارة إلى الحضر على قصر الأمل والاستعداد لبغنة الأجل. وعبر بالنهش وهو لدغ ذات السم مبالغة في الإصابة والإهلاك. (الفتح ١٨٧/١١).

- الخطوط المذكورة بجوار الخط الطويل الخارج إنما هي على سبيل المثال، لا أن المراد انحصارها في عدد معين، والحاصل أن من لم يمض بالسيف مات بالأجل. (الفتح ١٨٧/١١).

- من قصر أمله زهد ومن طال أمله كسل عن الطاعة وقسا قلبه، قال تعالى: (فطال عليهم الأمد فقسى قلوبهم)، وقيل: من قصر أمله قل همته وتنور قلبه؛ لأنه إذا استحضر الموت اجتهد في الطاعة وقل هممه ورضى بالقليل. (انظر الفتح ٢٣٧/١١).

- طول الأمل فيما يتعلق بأعمال الآخرة أمر مطلوب، وفيه ينقل ابن حجر عن ابن الجوزي رحمهما

درر البحار في تحقيق ضيف الأحاديث التصار

التسم
الثاني

علي حشيش

إعداد /

الحقة ٢٠

٢٠٠- «أفضل طعام الدنيا والآخرة اللحم».

الحديث لا يصح: أخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢٥٨/٣) (ح١٢٦٤) من حديث ربيعة بن كعب مرفوعاً، وفيه عمرو بن بكر السكسكي، قال العقيلي: «حديثه غير محفوظ، ولا يعرف إلا به، ولا يثبت في هذا المتن عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء». قال ابن حبان في «المجروحين» (٧٨/٢): «يروي عن الثقات الأوابد والطامات التي لا يشك من هذا الشأن صناعته أنها معمولة أو مقلوبة؛ لا يحل الاحتجاج به». وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٦٦/٢): «متروك».

٢٠١- «أَمَارَةُ الْمُسْلِمِينَ وَالصَّالِحِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ الْبِشَامَةُ إِذَا تَزَاوَرُوا، وَالْمَصَافِحَةُ وَالْتَرَجِيبُ إِذَا التَّقَوُّا».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٧٩/٢) وأورده الذهبي في «الميزان» (٢٤٨/٣)، وجعله من مناكير عمرو بن بكر السكسكي عن ابن جريج، وقال: «واه» من حديث جابر مرفوعاً.

٢٠٢- «مَنْ تَضَرَّعَ لِصَاحِبِ دُنْيَا وَضَعَ بِذَلِكَ نَصْفَ بَيْتِهِ، وَمَنْ أَتَى طَعَامَ قَوْمٍ لَمْ يَدْعُ إِلَيْهِ مَلَأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَطْنَهُ نَارًا حَتَّى يَقْضِيَ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الذهبي في «الميزان» (٢٤٨/٣) من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وجعله من طامات عمرو بن بكر.

٢٠٣- «اَقْتُلُوا الْوَرَّغَ، وَلَوْ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «الأوسط» (١٦٣/٧) (ح٦٢٩٧) من حديث عطاء عن ابن عباس مرفوعاً، وقال: «لم يرو هذا الحديث عن عطاء إلا عمر بن قيس»، وهو علقته، قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٢٤٩): «عمر بن قيس منكر الحديث عن عطاء». قال يحيى القطان: كنت قاعداً في المسجد ليلة وعمر بن قيس يحدث، قال يحيى: سمعته يحدث عن عطاء، عن عبيد بن عمير في دبة اليهودي والنصراني أعاجيب. ونقل الذهبي في «الميزان» (٦١٨٧/٢١٨/٣) أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه فقال: تركه أحمد والنسائي والدارقطني، وقال يحيى: ليس بثقة، وقال أحمد أيضاً: أحاديث بواطيل. اهـ.

قلت: «الْوَرَّغُ: جمع وَرَّغَةٍ، وهي التي يقال لها: الْبُرْصُ».

٢٠٤- «أَمْرٌ أَنْ يَتَّخِذَ زَوْجَ حَمَامٍ، يَذْكُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ هَيْبِهِ». الحديث لا يصح: أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن علياً رضي الله عنه شكاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحشة فامرّه أن يتخذ زوج حمام.. الحديث، وعلته الحسين بن علوان، قال يحيى بن معين في رواية أبي خالد الدقاق (٣٧): «الحسين بن علوان ليس بثقة»، قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٧٧/٦١/٣): «قرئ على العباس بن محمد الدوري عن يحيى بن معين قال: الحسين بن علوان كذاب، سمعت أبي يقول: هو».

واه ضعيف متروك الحديث». اهـ.

٢٠٥- «الْعَلْمُ خَزَائِنٌ وَمِفْتَاحُهَا السُّؤَالُ فَسَلُّوا يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ فَإِنَّهُ يُؤَجِّرُ فِيهِ أَرْبَعَةٌ: السَّائِلُ وَالْمُعَلَّمُ وَالْمُسْتَمِعُ وَالْمُحِبُّ لَهُمْ».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٩٢/٣) قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم السهمي الجرجاني حدثنا علي بن محمد القزويني، حدثنا داود بن سليمان القزاز، حدثنا علي بن موسى الرضا، حدثني أبي عن أبيه جعفر عن أبيه محمد بن علي عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب مرفوعاً، قال أبو نعيم: «هذا حديث غريب لم نكتبه إلا بهذا الإسناد، وعلته داود بن سليمان، ذكره الذهبي في «الميزان» (٢٦٠٨/٨/٢) قال: «كذبه يحيى بن معين ولم يعرفه أبو حاتم، وبكل حال فهو شيخ كذاب له نسخة موضوعة عن علي الرضا».

وتابع هذا الكذاب الوضاع كذاب وضاع آخر هو عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه عن علي بن موسى الرضا به، كذا في «العوالي» (٢١٣/١) للشيرازي، ذكره الذهبي في «الميزان» (٤٢٠٠/٣٩٠/٢) قال: عبد الله بن أحمد بن عامر عن أبيه عن علي الرضا، عن أبيه بتلك النسخة الموضوعة الباطلة ما تنفك عن وضعه أو وضع أبيه، فهذه المتابعة لا تزيد الحديث إلا وهناً على وهن كما هو مقرر عند علماء الصنعة.

٢٠٦- «الْجِبْرَةُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِصْرُ خَزَائِنُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ».

الحديث لا يصح: أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح ٣٧٧) وقال: «قال شيخنا هو كذب موضوع، وهو في نسخة نبيط الموضوععة». اهـ.

٢٠٧- «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عُبَادٌ جُهَالٌ وَقِرَاءٌ فَسَقَةٌ».

الحديث لا يصح: أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣١٥/٤) من طريق يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس مرفوعاً، قال الحافظ الذهبي في «التلخيص»: «يوسف هالك»، وقال في «الميزان» (٩٨٧٧/٤٦٨/٤): «يوسف بن عطية البصري الصفار مولى الأنصار عن قتادة وثابت مجمع على ضعفه، وقال النسائي: متروك، وقال يحيى: ليس بشيء، وقال البخاري: منكر الحديث».

٢٠٨- «إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

الحديث أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢٤١/١) (٧٢/٧٢) من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن أنس مرفوعاً، وقال: ولإبراهيم بن الحكم غير هذا الحديث عن أبيه، وبلاؤه مما ذكره أنه كان يوصل المراسيل عن أبيه، وعامة ما يرويه لا يتابع عليه، وأخرج عن يحيى بن معين أنه ليس بشيء.

وقال النسائي في «المترولين» (١٢): «إبراهيم بن الحكم بن أبان متروك الحديث».

٢٠٩- «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْغِضُ كُلَّ جَعْفَرِيٍّ جَوَاطِئَ سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، جِنْفَةَ اللَّيْلِ، حِمَارِ النَّهَارِ عَالِمٍ بِالذُّنْيَا جَاهِلٍ بِالْآخِرَةِ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن حبان (١٩٥٧- موارد) من طريق عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعاً، وفيه علة خفية، وهي الإرسال الخفي؛ حيث قال الحافظ ابن أبي حاتم في «المراسيل» (٢٦٧) سمعت أبي يقول: «سعيد بن أبي هند لم يلق أبا هريرة»، وهذا الحديث كان قد صححه الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (ح ١٩٥) وقال: «سنده صحيح رجاله كلهم ثقات»، وعندما تبينت له العلة، قال رحمه الله في «تراجم العلامة الألباني» (ح ١٣٤): «فلم أستجز لنفسي إبقاءه في «الصحيح» بعد ظهور هذه العلة»، قلت: وهذا لا ينقص من قدر شيخنا رحمه الله، بل هذا يزيد محبة في قلوب طالبي الحق.

الحمد لله ذل كل شيء لعزته، وتواضع كل شيء لعظمته، لا إله إلا هو، يجري كل شيء بقدره وقدرته، أحمده - سبحانه - وأشكره؛ عمنا بجلوه وفضله ونعمته، ووعد الشاكرين من فضله بزيادته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا شريك له في أسمائه وصفاته، وفي ربوبيته والوحيته، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله من علينا ببعثته، وجعل خاتمة الرسالات في رسالته، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى أصحابه وعترته، والتابعين ومن تبعهم بإحسان والتزم نهجهم وسار على سنتهم، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فأوصيكم -أيها الناس- ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله -رحمكم الله-؛ نال السعادة من بات معافى في بدنه، أمنا في سربه، عنده قوت يومه، عاندا لربه، وبلغ السيادة من كان غناه في قلبه، راضيا بكسبه، علم أن الدنيا غرارة خداعة، لا تساوي هم ساعة، فجعلها لربه عملا وطاعة. له قلب قانع بالعطاء، ونفس مطمئنة بالقضاء، لم يكن صاحب هوى فتنه هواه، ولا صاحب دنيا أهمته دنياه، غلب حلمه جهله، وصبره شهوته: (أَمَّنْ هُوَ قَبِيْثٌ فَإِنَّهُ آتِيْلٌ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَّحْدُرُ الْأَجْرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمُنُّونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) [الزمر: 9].

الإنسان محور المسؤولية؛

معاشر المسلمين: اقتضت حكمة الله -عز شأنه- أن يجعل الإنسان في هذه الدنيا محور المسؤولية، ومحل

التكليف: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَيَحْنُ كُسَيْفٌ بِحَدِّكَ وَيُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [البقرة: 30].

غاية الإنسان التي خلق من أجلها؛

وغاية الإنسان التي خلق من أجلها، ويحيا في سبيلها هي غاية إيمانية، وعقلية فكرية: (وَمَا خَلَقْنَا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: 56]، (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَعْلَمَوْا أَنَّمَا فَتَاتُ الْعُقُودِ



الحياة الإيمانية والحياة المادية

الشيخ الدكتور/صالح بن عبد الله بن حميد

إمام المسجد الحرام بمكة المكرمة

اعداد/

بِأَوْ نَافَاثٍ يَسْتَمِعُونَ بِمَا قَالَهَا لَأَمْسَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنَّ
تَمَسَّى الْقُرْآنُ الْبَرُّ فِي الْأَنْصَارِ ([الحج: ٤٦]، (وَيَسْمَلُ
لَكُمْ السَّمْعُ وَالْأَبْصَرُ وَالْأَفْئِدَةُ لَعَلَّكُمْ تُفَكِّرُونَ)
[النحل: ٧٨].

ولا تستقيم إنسانية الإنسان، ولا تصلح حياته إلا بالإيمان والعمل الصالح: (إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَمْرًا مِنْ
أَحْسَنَ عَمَلًا) [الكهف: ٣٠].

وهو -أي: الإنسان- إن تخلى عن ذلك فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا، وكمثل الكلب إن تحمّل عليه يلهث أو تتركه يلهث.

إن الإنسان الصالح هو إنسان الإيمان والأخلاق، والقيم والمبادئ، والشرف والفضيلة، والكرامة والنزاهة، والصدق والاستقامة والمسؤولية.

خطأ النظرة المادية للعالم:

العقل الإنساني وحده -أيها الأخوة في الله- لا يستطيع أن يستقل بالقرارات الصحيحة والأحكام الصائبة: (وَلَوْ
شِئَ الْحَقُّ لَمَرَأَهُمْ لَسَدَدْتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَمَنْ فِيهِنَّ) [المؤمنون: ٧١]؛ ذلك أن الإنسان ذو نزعات نفعية ضيقة؛ بل إنه بعقله واستبداده وهواه يحاول أن يغتصب ما يستطيع اغتصابه، وينهب ما يقدر على انتهائه.

الإنسان بعقله المجرد، وهواه الطاغي تجلى وتجسد في كثير من مظاهر حضارة اليوم، فلا اعتراف بعالم الغيب، ولا بما وراء الطبيعة -كما يعبرون-، وإنما هو العالم المحسوس المنظور ولا شيء غيره.

بل لقد جعلوا الإنسان هو الصانع لقيمه، فاتخذ لنفسه نهجا ومسارا ابتعد فيه عن الدين والإيمان، وما جاءت به الرسل وتنزلت به الكتب، حتى قالوا: لا توجد حقائق ثابتة للعدل والحرية، ولا معايير ضابطة للأخلاق والمصالح، ولكنها النسبية القاتلة، فلا عداوات وصدقات، ولا صدق في العلاقات؛ بل هي مصالح الأقوى، وأحكام الأظلم، وهوى الأظفى.

مفبة طغيان النظرة المادية:

معاشر الأجابة: بسبب تحكيم العقل -بل تحكيم

الهوى- ضعفت القيم، وطغت النظرة المادية؛ بل برزت العنصريات، وتجددت العصبيات. وإنك لترى المنتسب للتقدم والعلم وهو يحمل التعصب المقيت لونه وقوميته رغم ما حققه من تقدم مادي، بل لقد حارب الدين والتدين، حتى أصبح أسيرا للماديات والمحسوسات، فحقق فيها نجاحا لا ينكر، ولكنه فشل في الحفاظ على كرامة البشر من غير أجناسهم وقومياتهم.

بل لقد عولوا الحروب والصراعات والتظالم، ولسوف يكون الوضع أكثر حدة، وأشد قسوة، وأقسى وحشية، كلما تعاضمت وسائل قوته وأدواته في جشع المادة، واستعظام القوة، ولقد تضاعف تعداد الضعفاء والبؤساء من ملايين التكلي، والجوعى، والعراة، والمرضى والمعدمين.

وإنك لترى المخترع في اختراعه، والمكتشف في اكتشافه، والصانع في صناعته يهدف نفع الناس في ميادين الطعام والغذاء والكساء والدواء من أجل مزيد من الصحة والعافية والسلامة، غير أن معاملهم هذه ومختراتهم ومصانعهم هي التي تنتج -وبشكل أكبر وأفظع وأثرى- تنتج الغازات السامة القاتلة، والأسلحة الفتاكة المدمرة، وهي التي تهدد بالحروب الجرثومية، والكيميائية، والنووية. وسباق التسلح لا سقف له ولا حدود، وصدق الله العلي العظيم: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِمَّنْ لَمِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَمِمَّنْ عَنْ الْأُخْرَى فَرَعَلُوا) [الروم: ٧]، (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا حَتَّى يَصِيبَهُمْ صَاعِقَةٌ أَوْ يَكُونُ لَهُمْ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ) [الرعد: ٣١].

إفراغ العلوم من الإيمان والقيم مؤذن بالهلاك:

معاشر المسلمين: إن إفراغ العلوم من الإيمان والقيم والمثل العليا أصاب دنيا هذا العصر بالعقم والانحطاط، وأوصل إلى الطريق المسدود، فالحرية لا حدود لها، والعدل لا ضابط له، والمصالح لا معايير لها، والغاية تبرر الوسيلة!

وما كان ذلك -وربكم- إلا بسبب قيام هذه القيم على الفصل بين العلم والإيمان، والدين والحياة، والعلوم والأخلاق، فلا صداقات ولا عداوات، ولكن مصالح يُديرها الأقوى، ويتحكم فيها الأغنى.



فالعلم فروضٌ ونظرياتٌ وظواهرٌ لا شأن لها بالقيم، وتكون القاصمة حين يتقرر أنه لا علاقة لها بالدين والحياة.

الارتباط الوثيق بين الإيمان والعبادة:

أيها العقلاء: العلم من غير دين فاقِد البصيرة، بل هو وحشٌ ضارٌ يهلك الحرث والنسل، والإنسان من غير إيمان حيوانٌ بهيمٌ، مفترسٌ شرسٌ: **(وَإِذَا قِيلَ لِي فِي الْأَرْضِ يُغَسِّدُ فِيهَا وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ فَأَنقَ وَفَأَنقَ لَا يَجِدُ الْفَسَادَ)** [البقرة: ٢٠٥].

نعم، حين توجه العلم إلى هذا المسار المادي اتجهت نتائجه إلى هذا التوجه التخريبي الذي أربع الإنسانية جمعاء، في كلا مسارتيه: العملي والنظري. ومن هنا: فإن كل قوانين البشر وموثيقها واتفاقياتها سرعان ما تتلاشى، وتظهر عيوبها وتغرائها وظلمها وانحيازها.

ليت أهل الحضارة يعلمون أن هناك ارتباطاً وثيقاً، بل ميثاقاً غليظاً لا انفكاك عنه بين الإيمان والحياة، والإيمان والعلم، والعقيدة والعمل، **(وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَمْ وَبِئْسَ عُجُوزًا أَن يَرْثِيَهُمُ الْبَنِيُّ وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَتَبَتْ عَلَيْهَا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً) (الأنبياء: ١٠١)**، **(إِنَّ الدِّينَ أَمْرٌ أَوْفَى) (يونس: ٩)**، **(مَنْ عَمِلْ سَلَمَةً نَّكِرًا أَوْ آتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ قَلْبِيئَةً حَيَاةً طَيِّبَةً وَتَحَرَّتْهُمْ آخِرُهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل: ٩٧)**.

إن القيم العظيمة من البر والإحسان، والصدق والإخلاص والوفاء، واحترام كرامة الإنسان، والتواضع والتعاون، ونكران الذات، وحب الخير للناس، والصبر في الشدائد والكروب وغيرها، كل أولئك لا يمكن أن تقام على وجهها إلا بسياج من الإيمان بالله وتقواه وخشيته، وحسن عبادته، والرغبة والرغبة فيما عنده في الدنيا والآخرة.

نماذج مما مسخه الماديون من شعائر الدين:

معاشر العقلاء، أيها المسلمون: ومما يجلي ذلك ويبرزه: هذه المقارنة في قيمة من القيم، كيف هي في الميزان الصحيح، وكيف آلت إليه في هذا العصر! إنها قيمة الزواج وغايته.

الزواج في الميزان الصحيح ميثاق غليظ: **(وَقَدْ أَقْسَمْتُ بِعَمَلِكُمْ إِلَى يَمِينٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ**

يَتَنَبَّأُ غَلِيظًا) (النساء: ٢١).

نسبٌ وصهرٌ، وبناء أسرة، ورباط عشيرة، وأهلون وأقربون، وحسن عشيرة، وإحسان ومودة، وإمسك بمعروف، وتحمل ومسؤولية. الأسرة مأوى ومدرسة، وحضنٌ دافئ، ودار رعاية حانية.

أما في هذا العصر وما يريده ماديوه هذا العصر بقيمهم المادية، ونظرتهم الأنانية والعنصرية: فالزواج عقد باهت، وارتباط مهزوز، وعلاقة جامدة، تفتقد كل وظائف الأسرة، يلتقي فيها

الشبحان (الزوج والزوجة) في تواصل بارد، حتى استبدلوا الأولاد بحيوانات استأنسوها وتالفوها.

أما وظائف الأسرة فقد أنيطت بمؤسسات وهيئات مختلفة؛ فزادت دور الرعاية لرعاية اللقطاء، والمسنين والعجزة، والضمان الاجتماعي في رعاية الدولة أو الهيئات الاجتماعية.

في الأسرة المعاصرة إذا بلغ الأبوان مرحلة العجز والشيخوخة، فالحل هو إيداعه في إحدى هذه الدور، حتى يبلغ الكتاب أجله، لا يزور ولا يزار، وقد يحسبون إليه في بعض المناسبات زيارة أو ورده أو بطاقة.

وأما الأولاد فإذا بلغوا سن الرشد عندهم فلا علاقة لهم بأسرتهم، ولا والديهم، ولا مسؤولية ولا رجم ولا صهر، ومع الأسف فإن هذه الصورة من المقارنة لم تعد قاصرة على إقليم دون إقليم، إلا من رجم ربك.

وإن شئت صورة أخرى، أو قيمة أخرى يمكن التمثيل بها: فهي قيمة العفاف، أو خلق العفة، وهل للعفاف وجود في الحياة العادية المعاصرة!

العفة -حفظكم الله- هي ضبط النفس واعتدالها في لذاتها الجسمية والنفسية، أكلًا وشربًا، وكسبًا واتصالًا وعواطف.

والمسار المعاصر منهمك في الملذات بنهم لا ينتهي، وظلمًا لا يرتوي. لماذا؟! لأن الحياة عندهم لا تتجاوز عالم الأرض، في ارتماء مقبوت في أحضان المادة لا قعر له، ناهيك بقانون: (الغاية تبرر الوسيلة) حينما يكثُر عن أنبيائه



رباني كامل شامل في عقائده وتشريعاته وقيمه وأخلاقه، وكلها قيم عظمى، ومثل عليا متماسكة بقوة تجعلها -بحفظ الله وحكمته- العقبة على كل من يحاول النيل منها، أو عصرها أو قهرها.

ويكفيكم عزة وقوة واملًا: ما يحققه دينكم من انتشار في كل اصقاع الدنيا قوتها وضعيفها، شمالها وجنوبها، رغم حملات التشويه والتجني. دين عظيم عزيز إذا تطاولوا عليه اشتد، وإذا تركوه امتد، فله الحمد والمنة.

والمسلمون حين يعودون إلى دينهم، ويعتزون بقيمهم، ويتمسكون بشريعتهم سوف لن ينقذوا أنفسهم وحدهم، ولكنهم سوف ينقذون البشرية كلها التي تئن من وحشية الغاب، وتعاطم الدمار والخراب.

فديننا هدى للناس أجمعين، ونبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- هو رحمة الله للعالمين، وجميل أن يوقن أهل الحق أن ما يرونه من صراع مصالح ما هو إلا صراع مبادئ، صراع بين الحق والباطل، صراع بين ما جاء به هذا الدين ومن يريدون إطفاء نور الله، (وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُبَيِّنَ فُرُوقَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [التوبة: ٣٢]، وليؤثر دينه على الدين كله ولو كره المشركون.

هذا؛ وصلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة: نبيكم محمد رسول الله؛ فقد أمركم بذلك ربكم، فقال -عز قائلًا عليمًا-: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد الحبيب المصطفى، والنبي المجتبي، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن الصحابة أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعننا معهم بعفوك وجودك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وإنزل الشرك والمشركين، واخذل الطغاة والملاحدة وسائر أعداء الملة والدين.

البشعة، يجرف كل ما بين يديه وما خلفه. ومن خلال ذلك: ترى صورة الإنسان المعاصر فارغ الإكواب، ظمان الشفتين، مصقول المظهر، مظلم المخبر، قليل البصر، ضعيف اليقين، كثير اليأس. عيون لا تعف عن الحرمان، وقلوب لا تزجرها القوارع، كل ما عندهم من علم وفن، وسياسة وتربية، وعقل وقلب يطوف حول الماديات.

وبعد -حفظكم الله-:

لقد قتل الإنسان من غير حرب، وعذب من غير ضرب، أن لأهل الفقه والنظر أن يعرفوا معالم التحضر الحقيقي، وأين هي مسارات التقدم المنشود؟ وأين هي آثار القيم؟

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالنَّهْيِ وَالنَّهْيِ ٣) [العصر: ١-٣].

الدين لا يقف عند الدعوة إلى مكارم الأخلاق، أيها المسلمون: إنها سنة التدافع بين الحق والباطل، والخير والشر، والعدل والجور، ونحن -المسلمين- لسنا نشك لحظة واحدة بان القادر -بإذن الله- على تخليص البشرية من شقوتها، وتزويدها بمنهج الحياة الصالح هي هذه الأمة بدين الحق: (فَأَمَّا يَا نَبِيَّكُمْ فَقَدْ هَدَى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) [طه: ١٢٣]، (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) [آل عمران: ١١٠].

إن الطريق واضح، والنهج أبلج، إنه الاعتصام بحبل الله والتمسك بشرعه. والإيمان هو الأصرة التي تجمع القلوب، والأخوة الحققة هي الأخوة الإيمانية.

الدين لا يقف عند الدعوة إلى مكارم الأخلاق، وعدد القيم وتمجيدها؛ بل هو الذي يرسيها، ويحدد معالمها، ويضبط مقاييسها، ويضع الجزاء لها ثوابًا وعقابًا.

واعلموا -حفظكم الله- أن خرائن الإسلام لم تنفذ، وجدة الإسلام لم تخلق. إن سر بقاء هذا الدين وعصيانه على الذوبان، وقوة مقاومته؛ لأنه حق من عند الله، ومحفوظ بحفظه.



الاستصناع



د. علي السائوس

اعداد

كان من كتب الحنفية فقط، وذلك لأن عقد الاستصناع لا يعد عقداً مستقلاً، أو مما يعرف بالعقود المسماة، إلا عند الحنفية، وإن كان بعض الباحثين ذكر جوازه عند المذاهب الثلاثة كلهم أو بعضهم، وضم المجيزين إلى الحنفية، وهذا غير دقيق كما سيوضح من الدراسة التالية:

أولاً - الاستصناع عند المالكية:

بالرجوع إلى كتب المالكية نرى الحديث عن الاستصناع عند الحديث عن السلم وشروطه وأحكامه، فالمدونة الكبرى للإمام مالك يبدأ المجلد الرابع بكتاب السلم، وفي ثانياً السلم يوجد عنوان في السلف في الصناعات.

وفي مقدمات ابن رشد - الجد - نجد كتاب السلم (ص ٥١)، وتحدث فيه أيضاً عن السلم في الصناعات (ص ٥١٩ - ٥٢٠)، فقال: وأما السلم في الصناعات فينقسم في مذهب ابن القاسم على أربعة أقسام: (أحدها): أن لا يشترط المسلم المستعمل عمل من استعمله، ولا يعين ما يعمل منه. (والثاني): أن يشترط عمله ويعين ما يعمل منه.

(والثالث): أن لا يشترط عمله ويعين ما يعمل منه.

(والرابع): أن يشترط عمله، ولا يعين ما يعمل منه.

ثم فصل في شرح هذه الأربع.

وفي بُلغة السالك (١٠٣/٢) يقول الصاوي: (قوله كاستصناع سيف): أي كما أن استصناع السيف والسرج سلم، سواء كان الصانع المعقود معه دائم العمل أم لا، كان يقول لإنسان: اصنع لي سيفاً أو سرجاً أو باباً صفتة كذا بدينار، فلا بد من تعجيل رأس المال وضرب الأجل، وأن لا يعين العامل ولا المعمول منه، إلى آخر شروط السلم.

ثانياً: الاستصناع عند الشافعية:

لا نجد عن الشافعية باباً خاصاً بالاستصناع، غير أنهم يذكرونه في السلم: ففي كتاب الأم للإمام الشافعي (٧٨/٣) نجد باب السلم والمراد به السلم، ويتصل بهذا الباب عدة أبواب، منها: باب السلم في الشيء المصلح لغيره، ومما قاله تحت هذا الباب الأخير (١١٦/٣): قال: ولا بأس أن يسلفه في طلست أو تور - بفتح التاء

الحمد لله تعالى حمداً طيباً طاهراً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، نستغفره ونتوب إليه، ونسال الله عز وجل أن يجنبنا الزلل في القول والعمل، وأن يجعل عملنا كله خالصاً لوجهه الكريم، ونصلي ونسلم على رسوله الكرام، وعلى خاتمهم، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد كثرت الحديث عن الاستصناع بعد أن بدأت المصارف الإسلامية في اتخاذه وسيلة من وسائل تمويلها، واحتاج الأمر إلى وضع الضوابط الشرعية لسلامة التطبيق، وصحة العقود.

وعند النظر في هذه الضوابط، وأثناء تدريس المعاملات المالية، وجدت بعض الكاتيبين يعرض الموضوع بطريقة غير دقيقة، إلى جانب بعض الأخطاء.

فرايت أن أقدم هذا البحث مستعيناً بالله عز وجل، وقسمته إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: جعلته لتعريف الاستصناع.

والمبحث الثاني: تحدثت فيه عن الاستصناع عند المالكية والشافعية والحنابلة؛ حيث إنهم يختلفون عن الحنفية، فلم يجعلوه عقداً مستقلاً، أو ما يعرف بالعقود المسماة، كما فعل الحنفية، وإنما جعلوه ضمن السلم.

وجعلت المبحث الثالث: للاستصناع عند الحنفية.

أما المبحث الرابع، وهو الأخير، فقد جعلته للاستصناع في معاملاتنا المعاصرة.

تعريف الاستصناع

جاء في لسان العرب تحت مادة صنع: صنعه يصنعه صنعة: عمله... واصطنعه: اتخذه... واصطنع فلان خاتماً.

واستصنع الشيء: دعا إلى صنعه.

وفي المعجم الوسيط: استصنع فلاناً كذا: طلب منه أن يصنعه له.

وهو في اصطلاح الفقهاء: طلب العمل من الصانع في شيء مخصوص على وجه مخصوص. [رد المحتار لأبن عابدين ٢٢١/٤].

أو هو عقد مع صانع على عمل شيء معين في الذمة. [مجلة الأحكام العدلية: م ١٢٤].

الاستصناع عند المالكية والشافعية والحنابلة يلاحظ فيما سبق أن التعريف الذي نقلته من كتب الفقه

الثلث منها غالبا، فصح السلم فيه كالخشب والقصب وما فيه من غيره متميز يمكن ضبطه والإحاطة به، ولا يتفاوت كثيرا، فلا يمنع كالثياب المنسوجة من جنسين.

وما ذكره ابن قدامة جاء أثناء بيان الشرط الأول من شروط صحة السلم وهو: أن يكون المسلم فيه مما ينضبط بالصفات التي يختلف الثمن باختلافها ظاهرا. ثم انتقل إلى الشرط الثاني وهو: أن يضبطه بصفاته التي يختلف الثمن بها ظاهرا.

... ويصح السلم في الكاغد- الورق غير المكتوب فيه- لأنه يمكن ضبطه، ويصفه بالطول والعرض والدقة والغلظ واستواء الصنعة ما يختلف به الثمن.

... وإن أسلم في الأواني التي يمكن ضبط قدرها وطولها وسمكها ودورها، كالأسطال القائمة الحيطان والسطوت، جاز، ويضبطها بذلك كله.

خلاصة المنع

مما سبق نرى أن المذاهب الثلاثة لم تجعل الاستصناع عقدا مستقلا، وإنما جعلوه ضمن السلم.

فالمالكية خصصوا جزءا من كتاب السلم للسلم في الصناعات، أو السلف في الصناعات، وضربوا أمثلة لما كان يصنع في عصرهم، وأجازوه بشروط السلم. أما الشافعية فقد أجازوا السلم فيما صنع من جنس واحد فقط كالحديد، أو النحاس، أو الرصاص، أو غيرها، ولم يجيزوه فيما يجمع أجناسا مقصودة لا تتميز: كطست من نحاس وحديد، وكالغالية: وهي مركبة من دهن مع مسك وعنبر أو عود وكافور، وجعلوا مثل هذا لا يجوز إلا يدا بيد.

وأجازتهم ما صب في قالب لا يخرج عن قولهم هنا، لا كما ذكره بعض الكاتمين، فإنهم لم يجيزوه إلا بالشرط السابق، أي أن يكون الأصل المذاب في القالب من جنس واحد، وما نقلته من أقوالهم ينص على هذا الشرط، وقد جعل الإمام الشافعي هذا الشرط عاما حيث قال بعد ذكره: وهكذا كل ما استصنع.

أما ما يجمع أجناسا مقصودة تتميز، كالقطن والحريز، فهو موضع خلاف بينهم، والأصح في المذهب الجواز بشرط علم العاقدین بوزن كل ما أجزأه.

والحنابلة لا يكادون يختلفون عن الشافعية إلا في القليل من الفروع التطبيقية.

ومن هذا نرى أن المذاهب الثلاثة أجمعت على عدم جواز الاستصناع إلا بشروط السلم، غير أن المالكية أجازوا استصناع أي شيء مما يعمل الناس في أسواقهم من أنيتهم أو أمتعتهم التي يستعملون في أسواقهم عند الصناعات، على حين لم يجز الشافعية والحنابلة من هذه الأشياء ما جمع أجناسا مقصودة لا تتميز.

وللحديث بقية إن شاء الله.

وسكون الواو إثناء صغير يتوضأ منه- من نحاس أحمر أو أبيض أو رصاص أو حديد، ويشترطه بسعة معروفة، ومضروبا أو مفرغا، وبصنعة معروفة، ويصفه بالخانة أو الرقة. ويضرب له أجلا، وإذا جاء به على ما يقع عليه اسم الصفة والشرط لزمه ولم يكن له رده. وفي زاد المحتاج قال المؤلف (١٢٢/٢):

(فلا يصح) السلم (فيما لا ينضبط مقصوده كالمختلط المقصود الأركان) أي الأجزاء التي لا تنضبط (كهريسة- هي لحم وقمح يطبخان معا، وليست الحلوة المعروفة لدينا- ومعجون وغالية وخف) لعدم انضباط أجزائها، لأن الغالية مركبة من مسك وعنبر وعود وكافور، والخف يشتمل على ظهارة ويطانة وحشو، والعبارة لا تفي بذكر أقدارها وانعطفاتها، فإنه يجوز السلم فيه (والأصح صحته في المختلط المنضبط) الأجزاء (كعتابي) نوع من الثياب مركب من قطن وحريز، (وخز) هو مركب من أبريسم ووبر أو صوف لسهولة ضبط كل جزء من هذه الأجزاء، ومعنى الانضباط أن يعرف العاقدان وزن كل من الجزأين:

وقال في موضع آخر (١٢٧/٢) (ولا يصح) السلم (في مختلف) أجزأه (كبرمة معمولة) وهي قدور تصنع من الحجارة، واحترز بالمعمولة عن المصبوبة في قالب (وجلد) على هيئته (و) معمول نحو (كوز وطس) بفتح الطاء ويقال له طشت (وتحوها) كالأباريق (ويصح) السلم (في الأسطال المربعة) لعدم اختلافهما، والمدورة كالمربعة (وفيما صب منها) أي المذكورات (في قالب).

ثالثا: الاستصناع عند الحنابلة:

وجدنا من الحنابلة من نص على عدم جواز الاستصناع، قال ابن مفلح في كتاب الفروع (٢٤/٤): ذكر القاضي وأصحابه: لا يصح استصناع سلعة، لأنه باع ما ليس عنده على غير وجه السلم.

ومع هذا النص الذي يبين المنع، نرى الحنابلة - كالمالكية والشافعية - يتحدثون عما يتصل بالاستصناع تحت باب السلم، قال ابن قدامة في المغني (٢١٣/٤): لا يصح - أي السلم - فيما يجمع أخلاطا مقصودة غير متميزة، كالغالية والمعاجين التي يتداوى بها للجهل بها... ولا في الأواني المختلفة الرؤوس والأوساط، لأن الصفة لا تأتي عليه، وفيه وجه آخر أنه لا يصح السلم فيه إذا ضبط بارتفاع حائطه، ودور أعلاه وأسفله، لأن التفاوت في ذلك يسير. ولا يصح في القسي المشتملة على الخشب والقرن، إذ لا يمكن ضبط مقادير ذلك وتمييز ما فيه منها، وقيل: يجوز السلم فيها، والأولى ما ذكرنا.

وقال أيضا (٣١٤/٤): يصح السلم في الشباب والنبل، وقال القاضي: لا يصح السلم فيهما، وهو مذهب الشافعي، لأنه يجمع أخلاطا من خشب وعنبر وريش ونصل، فجرى مجرى أخلاط الصيدالة.. ولنا أنه مما يصح بيعه، ويمكن ضبطه بالصفات التي لا يتفاوت

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين الذي بشر به الرسل أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد: فقد انتهى بنا اللقاء السابق إلى اتفاق الأمم الثلاث اليهود والنصارى والمسلمون على انتظار منتظر واحد يخرج في آخر الزمان، فإنهم وُعدوا به في كل ملة؛ فاليهود ينتظرون المسيح الدجال الذي يسمونه «ملك السلام»، والذي يهيئون لخروجه، ولكنهم لا يسمونه الدجال، والمسلمون والنصارى يتفقون على أنه سيكون عيسى ابن مريم، لكن النصارى يعتقدون أنه الله، والمسلمون يعتقدون أنه عبد الله ورسوله.

ويتفق اليهود والنصارى على كونه من بني إسرائيل، وسيكونون جنده وأعوانه، وستكون قاعدة ملكه القدس، والإنجيليون على وجه الخصوص وهم طائفة البروتستانت من النصارى وقد وُصفوا بالإنجيليين؛ لأنهم يؤمنون بحرفية التوراة، ومؤسس هذه الفرقة هو مارتن لوتر الألماني الذي انشق عن الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر الميلادي، وأنكر كل تعريفات البابا وتفسيراته للكتاب المقدس، وقد هاجر كثير منهم إلى أمريكا بعد اكتشافها وشكلوا فيها أغلبية كبيرة، فصاروا يشكلون ما يزيد على ٦٢٪ من سكان أمريكا، وصارت لهم سطوة وكلمة مؤثرة وفعل مؤثر في السياسة الأمريكية.

وهم يعتبرون أن دعم قيام إسرائيل في فلسطين واجب ديني مستحي، وكذلك دعم توسعها والاعتراف بالقدس عاصمة لها، وكذلك تمويل الاستيطان اليهودي في الأرض المحتلة، وذلك لأنهم يؤمنون بثلاث إشارات إلهية يجب أن تتحقق قبل أن يعود المسيح- هذا بزعمهم- (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون):

١- قيام دولة إسرائيل من النيل إلى الفرات.
٢- امتلاك مدينة القدس التي ستكون مقرًا لنزول المسيح.

٣- إعادة هيكّل سليمان المفقود- والذي يسعى اليهود في زعمهم إلى إعادته على أنقاض المسجد الأقصى- (لا مكنهم الله من ذلك).

وأنت تلاحظ -أخي القارئ- معي من خلال العرض الموجز الذي قدمته لك مدى ارتباط عودة المسيح عند اليهود والنصارى بقضية فلسطين وأطراف الصراع فيها، ونستطيع تلخيص الأمر في النقاط التالية:

١- قيام إسرائيل وتوسعها واستمرارها في المحافظة على أمنها: عقيدة تورانية عند النصارى

القصة في كتاب الله

نزول عيسى

عليه السلام

في آخر الزمان

وعلاقته بالواقع

الذي نعيشه

الحلقة (٤)



عبد الرزاق السيد عيد

إعداد

قبل اليهود.

٢- العمل الدعوب منذ قرون على إنشاء إسرائيل وعلى المحافظة عليها بعد إنشائها وإلى أن ينزل المسيح كما يزعمون.

وبصرف النظر عن صحة اعتقادهم هذا أم بطلانه، وهو لا شك باطل؛ وسنبين بطلانه إن شاء الله فيما سيأتي، لكن أسمح لي أولاً بلمحة تاريخية لن أطيل فيها تكشف لنا ظهور الصهيونية المسيحية قبل اليهودية؛ لأن الاعتقاد السائد أن هرتزل هو أول من دعا إلى قيام دولة إسرائيل ثم تلاه وعد بلفور الشهير، وهذا ليس هو الصحيح المطلق في المسألة، ولكن الحقيقة نلخصها فيما يلي:

١- بدأت الدعوة إلى قيام إسرائيل في فلسطين تظهر على يد علماء الدين المسيحي البروتستانت، ثم رجال السياسة البريطانية سنة ١٥٦٢م.

٢- ثم على يد السياسي البريطاني هنري منسن ١٦٢١م.

٣- ثم السياسي البريطاني كروميل ١٦٤٩م.

٤- ثم الفرنسي فيليب حنتل ١٦٥٦م.

٥- ثم تبناها اللورد الإنجليزي شافنسبري، وجلاستون سنة ١٨٨٢م، ثم بالمرستون وزير الخارجية البريطاني سنة ١٨٩٥م.

٦- كل هذه المراحل سبقت دعوة هرتزل الشهيرة، والتي تبني فيها قيام الدولة اليهودية في فلسطين، ودعا اليهود إلى العمل على تحقيق ذلك في مؤتمر بال الشهير سنة ١٨٩٧م، ثم تدافعت الجهود التي تمخضت عن وعد بلفور المشهور سنة ١٩١٧م، ولفور هذا «كان يؤمن إيماناً عميقاً بالتوراة، ويقرؤها ويصدق بها حرفياً، ونتيجة لإيمانه أصدر هذا الوعد». هذا ما ذكرته عنه صاحبة سيرته الذاتية، وهي ابنة أخته. [انظر كتاب: القدس للدكتور سفر الحوالي ص ٤٥، ط مكتبة السنة بالقاهرة سنة ١٩٩٤م].

سر تأييد أمريكا المطلق لإسرائيل،

هذا ونحن لا زلنا نذكر أحداث ١٩٤٨م وما تلاها إلى يومنا هذا، والواقع على الأرض يكفيني مؤنة ذكر تفاصيل تاريخية كثيرة، ولعل القارئ الكريم اكتشف معي الآن سر تأييد أمريكا المطلق لإسرائيل، وأحب أن أزيد هذه القضية أيضاً؛ لظني أنها تخفى على كثير من الناس، فقد برز دور أمريكا واضحاً في قضية إسرائيل بسبب هجرة البروتستانت إليها، وإلى الآن ما يزالون هم أكثر سكان أمريكا، وقد خرجوا من أوروبا بروح التدين التوراتي، فلما دخلوا أمريكا قالوا بان هذا خروج مثل خروج بني إسرائيل ودخلهم إلى الأرض المقدسة (في الزمن القديم)، وأخذوا يسمون المدن والمناطق في أمريكا

باسماء من التوراة، واعتقدوا أن هذه الأرض البكر بشرى بشرهم الله بها في الدنيا.

وتم تأسيس المجتمع الأمريكي على أساس بروتستانتية توراتي، وقرر الرئيس الأمريكي الأسبق كارتر هذه العقيدة بوضوح فقال: «لقد آمن بذلك سبعة رؤساء أمريكيين، وجسد هذا الإيمان بأن علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع إسرائيل هي أكثر من علاقة خاصة، بل هي علاقة فريدة؛ لأنها متجذرة في ضمير وأخلاق ودين ومعتقدات الشعب الأمريكي نفسه، لقد شكّل إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية مهاجرون طليعيون ونحن نتقاسم تراث التوراة» [انظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف حسن، ط مركز دراسات الوحدة العربية سنة ١٩٩٠م].

وهذا الذي يقوله كارتر هو عقيدة كثير من رؤساء أمريكا على مر تاريخها الطويل، ولا فرق بينهم ممن ينتسب إلى الحزب الجمهوري أو الحزب الديمقراطي، وكذلك لا فرق بين الساسة ورجال الدين، وأهل الفن ورجال الاقتصاد.

وخشية الإطالة في بحثنا أذكر فقط بعض الأمثلة المحدودة، فهذا الرئيس الأمريكي السابق ريجان يقول في حديث له مع المدير التنفيذي للوبي اليهودي في أمريكا (إيباك): «حينما أتطلع إلى نبوءاتكم القديمة في العهد القديم وإلى العلامات المنبئة بهرمجدون أجد نفسي متسائلاً عما إذا كنا نحن الجيل الذي سيرى ذلك واقعاً ولا أدري إذا كنت قد لاحظت مؤخراً أيًا من هذه النبوءات، لكن صدقني أنها تنطبق على زماننا الذي نعيش فيه».

وقال أيضاً: «إنني دائماً أتطلع إلى الصهيونية كطموح جوهري لليهودي، وبإقامة دولة إسرائيل تمكن اليهود من إعادة حكم أنفسهم بأنفسهم في وطنهم التاريخي ليحققوا بذلك حلمًا عمره ألفا عام» [المصدر السابق].

لاحظ أن كلمة «صهيونية» التي يعتز بها ريجان ترمز لدولة داود؛ لأنها مشتقة من جبل صهيون في القدس والذي بنى عليه داود عليه السلام بيته بعد انتقاله من الخليل، وهي شعار الحركة السياسية التي ترمي إلى إقامة إسرائيل في فلسطين لإعادة مملكة داود- كما يزعمون-، وجاء كلينتون ليعلن بصراحة: «إنني أعتقد أنه يتوجب علينا الوقوف إلى جانب إسرائيل في محاولاتها التاريخية لجمع مئات الألوف من المهاجرين لمجتمعها ودولتها» [انظر: مجلة المراقب العدد الأول ص ٩، ١٠].

وللحديث بقية، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإلى لقاء قريب بحول الله وقوته.

الرفق جماع الخير

عبدہ الأقرع

فاقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيماً رقيقاً، فلما رأى شوقنا إلى أهاليها قال: «ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلوا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحداكم وليؤمكم أكبركم». [البخاري-الفتح: ٦٣٨ واللفظ له، ومسلم: ٦٧٤].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن يهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: السام عليكم. فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم، قال: «مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق وإياك والفحش». قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: «أو لم تسمعي ما قلت رددت عليهم؛ فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في». [البخاري-الفتح: ٦٠٣٠/١٠].

سبحان الله ما أعظم هذا الخلق العظيم!!

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أعرابي في المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء، أو ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين». [البخاري: ٢٢٠].

معنى: «السجل»: هي الدلو الممتلئة ماء.

وفي هذا الحديث فوائد:

منها: العذر بالجهل، وإن الإنسان الجاهل لا يُعامل كما يُعامل العالم، لأن العالم معاند، والجاهل متطلع للعلم فيعذر بجهله، ولهذا عذره النبي صلى الله عليه وسلم ورفق به.

ومنها: أن الشرع يقتضي دفع أعلى المفسدين بأدناهما، يعني إذا كان هناك مفسدان لا بد من ارتكاب أحدهما، فإنه يُرتكب الأسهل.

فلهذا ترك النبي صلى الله عليه وسلم هذا الرجل يببول حتى انتهى، ثم أمر بأن يُصب على بوله ذنوب من ماء؛ دفعا للمفاسد التي تترتب على منعه من إكمال بوله، ومنها: الضرر على هذا البائل؛ لأن البائل إذا مُنع البول المتهدى للخروج ففي ذلك ضرر، فربما تتأثر مجاري البول ومسالك البول.

الحمد لله ولي من اتقاه، يهدي إلى الطيب من القول من اصطفاه واجتباها، وأصلي وأسلم على من أدبه ربه فأحسن تأديبه فكان مثلاً يحتذى به ويقتدى، فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم التناد.

أما بعد: فلا شك أن رسالة الإسلام رسالة خير ويزرّ وسلام، ومبادئه مبادئ عدل وحب ووفاء، ومن مقاصده: إصلاح أحوال العباد في أمور المعاش والمعاد، والبحث على الإصلاح، وحماية الناس من طرق الشر والفساد، بئراً بالفساد، ويجلب المصالح، ويقلل الخلف، ويحث على الجماعة والائتلاف، ويحجّر أبناءه عن العنف والقسوة والجفاء، ويربي أتباعه على التواضع والتواضع، والترابط والتلاحم، في تعامل رقيق، وترابط وثيق، ولهذا كان المجتمع الإسلامي مجتمع محبة وشفاء، ومودة وإخاء، وطهر ونقاء، وسلامة وهناء، لا يعرف الحقد والبغضاء، والعنف والشحناء.

أكثر الناس رفقاً وأعظمهم حملاً:

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا عائشة، إن الله رقيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه». [مسلم: ٢٥٩٣، باب فضل الرفق].

إن الرجل العظيم كلما ارتفع إلى أفاق الكمال، اتسع صدره، وامتد حلمه، وتطلب للناس الأعذار، وما اظلت السماء وأقلت الغبراء، أكثر رفقاً، وأعظم حملاً، من نبينا المصطفى وحبينا المجتبي - بابي هو وامي عليه الصلاة والسلام - وسع خلقه الناس سهولة ورفقاً، وفاضت طبيعته العالية، وسجيته الكريمة المحسن والمسيء، فاستحق هذه الشهادة من الرب الرحيم، « وَإِنَّكَ لَعَلَّ خَلْقٍ عَطِيفٍ » [القلم: ٤]، وهو الموصوف « فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ وَوَكُنْتُ قَطًّا عَطِيفًا لَأَنْفُسًا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ » [آل عمران: ١٥٩].

وعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من قومي

ومنها: لئلا تصيب قطرات البول سائر المسجد،
وحينئذ تكون القطرات منتشرة في المكان كله.
[شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١/٦٧٣].
الله أكبر؛ هذه سمات أهل القلوب الشفيقة،
والعقول الراجحة، والأفكار النيرة، وهي في
الرجال تدرج في سلم الكمال عقلاً ورزاقاً.
فالرفق جماع الخير، وطريق محبة الخلق،
والوصول إلى الحق ورضا الرب، وأنه ما قال
صلى الله عليه وسلم: «إن الرفق لا يكون في شيء
إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه». [مسلم رقم:
٢٥٩٤].
وقال صلى الله عليه وسلم: «من يحرم الرفق يحرم
الخير كله». [مسلم: ٢٥٩٢].

العنف في الإنسان دليل نقص:

وإذا كنا نعيش في زمن رفع العنف صوته،
وتواري الرفق على استحياء، فنقول: إن العنف
في الإنسان دليل نقص ونزق (أي: خفة في كل
أمر)، وعجلة في جهل وحمق، ومتى اجتمع في
فرد عنف وعجلة، ضر نفسه، وأوكسها، وجنى
على مجتمعه وأمنته وأركسها، وهو لا يحل المشكل
من الأمور، يقول ابن القيم رحمه الله: «ومن تأمل
ما جرى للإسلام من الفتن صغارها وكبارها،
رأها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على
المنكر، فطلب إزالته، فتولد منه ما هو أكبر منه».
[إعلام الموقعين ٤/٣].

ولهذا لا عجب أن نرى أناساً داخلهم اليأس،
فانفتلوا قبل منتصف الطريق، وفهموا نزوب
الإصلاح، على أنها مواجهة ومناطحة، فحصل
بذلك من الفتن ما لا يعلمه إلا الله.

الرفق في الدعوة إلى الله:

وإن من الرفق: الرفق في الدعوة إلى الله، فقد
أرسل الله موسى وهارون- عليهما السلام-
إلى فرعون مدعي الربوبية، والمعتدي على مقام
الألوهية، فقال: «أَذْهَبَا إِلَىٰ فرعون إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٣﴾ فَقُولَا لَهُ
﴿قَوْلًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣-٤٤].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من
أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فينبغي أن يكون
عليماً بما يأمر به، عليماً بما ينهى عنه، رفيقاً
فيما يأمر به، رحيماً فيما ينهى عنه، حليماً فيما
يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه، فالفقه قبل الأمر،
والرفق عند الأمر، والحلم والصبر بعد الأمر».

[مجموع الفتاوى: ١٥/١٦٧].

ولذلك قيل: «ما أحسن الإيمان يزينه العلم، وما
أحسن العلم يزينه العمل، وما أحسن العمل
يزينه الرفق، وما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم
إلى علم». [إحياء علوم الدين: ٣/١٨٩].
فالناصح الأمين شفيق على إخوانه، رفيق بهم،
فالرفق يحبب فيك الرفيق، ويذني منك الصديق.

إذا نزل الرفاق وأنت ممن

بلا رفق بقيت بلا رفيق
أما العنف فيبعدك عن الصواب، ويجرُّ عليك
اللوم والعتاب، ويفقدك الصحاب والأحاب، فلا
تقبل منك دعوة، ولا يُسمع منك توجيه، ولا يرتاح
لك جليس، «فَمَا رَحِمَهُ بِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ وَكَؤُودٌ أَفْئًا
عَلَيْتَ أَقْلَبَ لَأَفْضَرًا مِنْ حَرَاكٍ» [آل عمران: ١٥٩].

وعليه: فلا ينبغي أن يتخذ العنف منهاجاً
للدعوة والإصلاح، ولقد صح واستقام لدى
العقلاء، أن العنف لا يُولد إلا عنفاً مثله وأشد
منه، ومهما يكن من أمر فحل الأمور بالرفق
والتؤدة، والحكمة مطلبٌ مُلحٌ، لتحقيق مصالح
الامة من الرعاة والرعية، والحكيم من يضع
الأمور مواضعها.

ألا وإن من الرفق: الرفق في الأمور الأسرية،
فما كثرت المشكلات، وما عم الشقاق والطلاق
والفراق، إلا بسبب العنف، ومجانبة الرفق في
الأمور.

فالرفق في الأمور كلها سر النجاح والتوفيق.
إذ بالرفق تسهل الأمور، ويتصل بعضها ببعض،
ويرجع إلى المأوى ما شذ، وبه يُجمع الشتات،
فهو إذن جامع الجماعات، وجامع أيضاً للطاعات،
وبالطاعات يؤلف الله القلوب، ويجمع الجماعات
المتفرقة، ويؤلف بين الجماعات المتباغضة. [فيض
القدير: ٥/٤٦١].

فعلى العبد أن يتحلى بالرفق، وأن يتخلى عن
العنف، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من
أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الدنيا
والآخرة». [الصحيحة رقم: ٥١٩].

وعن قيس بن أبي حازم، قال: «كان يُقال مَنْ يُعْطِ
الرفق في الدنيا نفعه في الآخرة». [أخرجه وكيع
في الزهد ٣/٧٧٧].

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا الرفق في الأمور
كلها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الإمام الفقيه : عبد الله بن عباس



صلاح نجيب الدق

اعداد

إسلام ابن عباس:

أسلم عبد الله بن عباس قبل أبيه، وهاجر مع ابويه إلى المدينة عام فتح مكة، أي في العام الثامن من الهجرة. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ ص ٣٣٣).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين، أنا من ولدان، وأمي من النساء. (البخاري حديث: ١٣٥٧).

أولاد عبد الله بن عباس:

رزق الله تعالى ابن عباس بسبعة أولاد: من الذكور خمسة وهم: العباس (الابن الأكبر)، وعلي (جد الخلفاء العباسيين)، والفضل، ومحمد، وعبيد الله، ومن الإناث: اثنتان، وهن: لبابة واسماء. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ ص ٣٣٣).

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس:

(١) عن ابن عباس قال: ضممني النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدره وقال: «اللهم علمه الحكمة». (البخاري حديث: ٣٧٥٦).

(٢) عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل الخلاء فوضعت له وضوءاً. قال: من وضع هذا فأخبر. فقال: «اللهم فقّهه في الدين». (البخاري حديث: ١٤٣).

(٣) عن عبد الله بن عباس قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر الليل فصليت خلفه، فأخذ بيدي فجرتني فجعلني حذاءه، فلما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على صلاته خنست فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما انصرف قال لي: ما شأنك جعلك حذاءي فتخنست فقلت: يا رسول الله أويئبني لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله؟ قال: فأعجبته فدعا الله لي أن يزيدني علماً وفهماً. (مسند أحمد ج ٥ ص ١٧٨ حديث: ٣٠٦٠، بسند صحيح).

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً، والصلوة والسلام على نبينا محمد، الذي أرسله ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد: فإن الإمام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما هو أحد أصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الذين قال مدحهم الله تعالى في كتابه العزيز قائلًا: (اعلموا أن يكفر رسول الله لو طمعت في كبر من الأثر نعمت ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكرة إليكم الكفر والشرك والمفساد أولئك هم الأثيمون) (الحجرات: ٧).

وهو أحد فقهاء الإسلام المشهورين، وقد خصص حياته لنشر العلم النافع، والتصدي لأهل البدع، من أجل ذلك أحببت أن أذكر نفسي وإخواني الكرام بشيء من سيرته العطرة. فاقول وبالله التوفيق:

اسمه ونسبه:

عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كنيته:

أبو العباس، وهو أكبر أولاده. أمه: هي أم الفضل لبابة الكبرى، بنت الحارث الهالكية، وهي أخت ميمونة بنت الحارث، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم. (أسد الغابة لابن الأثير ج ٣ ص ١٨٥).

مولد عبد الله بن عباس:

وُلد ابن عباس قبل الهجرة بثلاث سنين، أي في العام العاشر من بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ ص ٣٣٢).

صفات ابن عباس الخلقية:

كان عبد الله بن عباس أبيض، طويلًا، مشربًا صفرة، جسيمًا، وسيما، صبيح الوجه، له وفرة، يخضب بالحناء.

قال ابن جريج: كنا جلوساً مع عطاء بن أبي رباح في المسجد الحرام، فتذاكرنا ابن عباس، فقال عطاء: ما رأيت القمر ليلة أربع عشرة إلا ذكرت وجه ابن عباس. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ ص ٣٣٦).

ابن عباس يتعلم على يد النبي صلى الله عليه وسلم

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بئت عند خالتي ميمونة ليلة فقام النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان في بعض الليل قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ من شين معلق (قربة) وضوءاً خفيفاً يخففه عمرو ويقلله جداً، ثم قام يصلي فقامت فتوضأت نحواً مما توضأ، ثم جئت فقامت عن يساره فحولني فجعلني عن يمينه، ثم صلى ما شاء الله، ثم اضطجع فنام حتى نفخ فاتاه المنادي يأذنه بالصلاة فقام معه إلى الصلاة فصلى ولم يتوضأ. (البخاري حديث: ٨٥٩).

وعن ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تحده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف. (صحيح الترمذي للالباني حديث: ٢٠٤٣).

طلب ابن عباس للعلم:

(١) عن ابن عباس قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم اليوم كثير، فقال: عجباً لك يا ابن عباس، أتري الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم؟! قال: فتركت ذلك، وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان يبلغني الحديث عن الرجل فاتى بابه وهو قائل، فاتوسد رداي على بابه يسقي الريح علي من التراب فيخرج، فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلي فأتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن أتيك، قال: فاسأله عن الحديث، فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رأني، وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فقال: هذا الفتى كان أعقل مني. (مستدرک الحاكم ج ١ ص ١٨٨، بسند صحيح).

(٢) قال عبد الله بن عباس: كنت أسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ ص ٣٤٤).

(٣) عن أبي سلمة الحضرمي قال: سمعت ابن عباس يقول: كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار،

فاسألهم عن مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نزل من القرآن في ذلك، وكنت لا أتى أحدا منهم إلا سرُّ بإتياني لقربي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلت أسأل أبي بن كعب يوماً، وكان من الراسخين في العلم عما نزل من القرآن بالمدينة، فقال: نزل بها سبع وعشرون سورة، وسائرهما بمكة. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٢٨٤: ٢٨٣).

عبادة عبد الله بن عباس:

قال ابن أبي مليكة: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة، فكان يصلي ركعتين، فإذا نزل، قام سطر الليل، ويرتل القرآن حرفاً حرفاً، ويكثر في ذلك من النسيج والنحيب. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ ص ٣٥٢).

قال أبو رجاء: رأيت ابن عباس وأسفل من عينيه مثل الشراك البالي من البكاء. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ ص ٣٥٢).

وصية العباس لابنه عبد الله:

عن عامر الشعبي عن ابن عباس قال: قال لي أبي: أي بني إني أرى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يدعوك ويقربك، ويستشيرك مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فاحفظ عني ثلاث خصال: اتق الله، لا يجربن عليك كذبة، ولا تفشين له سرا، ولا تغتابن عنده أحداً. قال عامر الشعبي: فقلت لابن عباس كل واحدة خير من ألف درهم، قال ابن عباس: كل واحدة خير من عشرة آلاف درهم. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ج ١ ص ٣١٨).

علم عبد الله بن عباس:

أخرج المحدثون في كتب السنة لعبد الله بن عباس ألفاً وست مئة وستين حديثاً، وله من ذلك في البخاري ومسلم خمسة وسبعون حديثاً، تفرد البخاري له بمائة وعشرين حديثاً، وتفرد مسلم بتسعة أحاديث. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ ص ٣٥٩).

(١) عن عكرمة قال: أتى علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لا تعذبوا بعباد الله ولقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه. (البخاري حديث ٦٩٢٢).

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فقال: بعضهم لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم. قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيت

دعاني يومئذ إلا ليريبهم مني، فقال: ما تقولون في إذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله أفواجا؟ حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئا، فقال لي: يا ابن عباس أذاك تقول؟ قلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له (إذا جاء نصر الله والفتح)، فتح مكة، فذاك علامة أجلك (فسيح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا). قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم. (البخاري حديث: ٤٢٩٤).

مناظرة ابن عباس مع الخوارج:

قال عبد الله بن عباس: لما اعتزلت الحرورية (الخوارج) قلت لعلي: يا أمير المؤمنين أبرد عني الصلاة لعلي أتى هؤلاء القوم فاكلهم. قال: إني اتخوفهم عليك. قلت: كلا إن شاء الله، فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه (نوع من الثياب) اليمانية، ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة، فدخلت على قوم لم أر قوما قط أشد اجتهادا منهم.. قال: فدخلت فقالوا مرحبا بك يا ابن عباس ما جاء بك؟ قال: جئت أهدتكم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الوحي وهم أعلم بتأويله. فقال بعضهم: لا تحدثوه. وقال بعضهم: لنحدثنه.

قلت أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه (زوج ابنته فاطمة)، وأصحاب رسول الله معه؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثا.

قلت وما هن؟

قالوا: أولاهن أنه حكّم الرجال في دين الله، وقد قال الله عز وجل: (إِنَّ الْحَكْمَ لِلَّهِ). قلت: وماذا؟

قالوا: قاتل، ولم يسب، ولم يغنم، لئن كانوا كفارا لقد حلت له أموالهم، وإن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم؟

قال: قلت: وماذا؟

قالوا: ومحا نفسه عن أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قال: قلت: أرايتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم وحدثكم من سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ما لا تنكرون أترجعون؟ قالوا: نعم. قلت: أما قولكم: إنه حكّم الرجال في دين الله، فإن الله يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصِّدِّقَ وَأَنْتُمْ حَرَمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا

قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ). وقال في المرأة وزوجها (وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمَا مِنْ أَهْلِهَا)، أشدكم الله افحك لرجال في حقن دمائهم وانفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم في أربب ثمنها ربع درهم.

فقالوا: اللهم في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم. قال أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم: إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، اتسببون أمكم عائشة، ثم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها، فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام. إن الله عز وجل يقول (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ)، فانتم تترددون بين ضاللتين فاخترتوا أيهما شئتم.

أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم: محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قريشا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابا. فقال: اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله. فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صدناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فقال: والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني. اكتب يا علي محمد بن عبد الله، فرسول الله كان أفضل من علي. أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم.

فرجع منهم عشرون ألفا، وبقي أربعة آلاف فقتلوا. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ج ١ ص ٣٢٠: ٣١٨).

وفاة عبد الله بن عباس:

عن سعيد بن جبيرة قال: مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته، فجاء طير لم ير على خلقته ودخل في نعشه فنظرنا ونأملنا هل يخرج فلم ير أنه خرج من نعشه، فلما دفن تليت هذه الآية على شفيع القبر، ولا يدري من تلاها (ثُمَّ لِيَسْأَلَنَّ الْقَلْبُ الْمُنْسَبَةَ ﴿٧﴾ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَابِعَةً مَّرَّةً ﴿٨﴾ فَأَدْخِلْ فِي عَيْدِي ﴿٩﴾ وَأَدْخِلْ حَيِّي) (مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٥٤٣ وسكت عنه الذهبي).

أصيب ابن عباس بالعمى في أواخر حياته، ومات عام ثمان وستين من الهجرة، وكان عمره إحدى وسبعين عاما، وصلى عليه محمد ابن الحنفية. (أسد الغابة لابن الأثير ج ٣ ص ١٨٩، وصفة الصفة لابن الجوزي ج ١ ص ٧٥٧).

رحم الله عبد الله بن عباس رحمة واسعة، وجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء. ونسال الله تعالى أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى من الجنة. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

من نور كتاب الله

من صفات أهل الإيمان

قال تعالى: « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ »

[الأنفال: ٢].

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ، اضْمِنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ، اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا أَوْثَمْتُمْ، وَاجْفُظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ. [مسند أحمد ٢٢٨٠٩، وحسنه الألباني].

واحة التوحيد

أكل العجوة تقي من السحر

عن عامر بن سعد، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمْرَاتٍ عَجْوَةٍ لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سُمْ وَلَا سِحْرٌ »

[صحيح البخاري ٥٤٤٥].

حكم ومواعظ

عن عبد الله بن المبارك قال: صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس، قيل: من هم؟ قال: الملوك، والعلماء. [المجالسة للدينوري ٣٠٨/٢].

أحسن عزاء

قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل فقد ولده: «أما يسرك ألا تأتي بابا من أبواب الجنة إلا وجدته يسعي يفتح لك، [سنن النسائي، صحيح]»

من حكم الأشعر

قال مسعر بن كدام يعظ من العاصين:

تفنى اللذائة ممن نال صفوتها

من الحرام ويبقى الإنم والعاز

تبقى عواقب سوء من مغبتها

لا خير في لذة من بعدها النار

من دلائل النبوة

إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- خَرَجَ يَوْمَ بَدْرٍ فِي ثَلَاثِمِائَةِ وَخَمْسَةِ عَشْرَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ خِفَاءٌ فَأَحْمِلْهُمْ، اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ عُرَاةٌ فَأَكْسِبْهُمْ، اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ جِيَاعٌ فَاشْبِعْهُمْ». فَفَتَحَ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ بَدْرٍ فَأَنْقَلَبُوا حِينَ أَنْقَلَبُوا وَمَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ رَجَعَ بِجَمَلٍ أَوْ جَمَلَيْنِ. وَاتَّسَبَعُوا وَشَبِعُوا. [رواه أبو داود 2749 وحسنه الألباني].

من جوامع الدعاء

عن شداد بن أوس قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: إِذَا كُنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَاتَّكَبُوا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّسَدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ بِمَا تَعْلَمُ؛ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، [مسند أحمد 17155 وصححه الألباني].

إعداد: علاء خضر

ميزان السلف في حب الصحابة

عن إبراهيم بن سعيد الجوهري أنه: سال أبا أسامة أيهما كان أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لا نعدل بأصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - احداً. [جامع بيان العلم 185/2].

من أقوال السلف

عن مالك بن أنس رضي الله عنه قال: ما قلت الأثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء، ولا قلت العلماء إلا ظهر في الناس الجفاء. [ذم الكلام للهروي 79/5].

عاقبة الظلم

قال ابن قتيبة: ذكر الظلم في مجلس ابن عباس فقال كعب: إني لا أجد في كتاب الله المنزل أن الظلم يخرب الديار. فقال ابن عباس: أنا أوجده في القرآن، قال الله عز وجل: «فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا» [عبور الأخبار 32/1].

أحاديث باطلة في آثار سنية

رايت علي باب الجنة مكتوباً: «لا إلا الله محمد رسول الله، علي أخو رسول الله. هذا الحديث باطل ومن أكاذيب واطيل الشيعة»

تأثير قرائن السياق على الأحكام الفقهية

الحلقة

(٥٨)

متولي البراجيلي

اعداد

شيخ الإسلام ابن تيمية: (الكتاب والسنة والإجماع، مدلول الثلاثة واحد، فإن كل ما في الكتاب فالرسول صلى الله عليه وسلم موافق له، والأمة مجمعة عليه من حيث الجملة؛ فليس في المؤمنين إلا من يوجب اتباع الكتاب، وكذلك كل ما في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فالقرآن يأمر باتباعه فيه، والمؤمنون مجتمعون على ذلك. وكذلك كل ما أجمع عليه المسلمون فإنه لا يكون إلا حقا موافقا لما في الكتاب والسنة، لكن المسلمين يتلقون دينهم كله عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وأما الرسول صلى الله عليه وسلم فينزل عليه وحى القرآن، ووحى آخر هو الحكمة، كما قال صلى الله عليه وسلم: "الأني أوتيت الكتاب ومثله معه" (مجموع الفتاوى ٤٠/٧).

فأدلة الشرع حق، والحق لا يتناقض، بل يصدق بعضه بعضا. فمن أين إذا ينشأ هذا التعارض الظاهري (الموهوم)؟

ينشأ هذا التعارض لأسباب عدة، منها القصور في العلم؛ فإنه ينبغي للناس في مسألة أن يجمع كل ما ورد فيها من نصوص، ثم يحمل النصوص المتشابهة على المحكمة، والمجمل على المبين، والعام على الخاص، والمطلق على المقيد... ونحو ذلك. وينظر في الأحاديث الواردة في الباب فيأخذ ما صح منها وي طرح ما دونه، وسيواجه في ذلك سلفه من علماء الأمة المجتهدين.

وقد يرجع ذلك إلى قصور في فهمه وتدبره، فالأمر لا يقتصر على جمع النصوص والتأليف بين بعضها البعض فحسب، بل الفهم والتدبر، وهذا رزق من الله تعالى يعطيه لمن يشاء، «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» (النساء: ٨٢)، وكما في الحديث عن أبي جحيفة رضي الله عنه، قال: قلت لعلي رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا والذي فلق الحبة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد ذكرنا أن قرائن السياق - بمفهومها الواسع - تُستخدم وتؤثر في الأحكام الفقهية. وأن الأحكام الفقهية تنقسم من حيث الإجمال إلى قسمين كبيرين، هما: مجال العبادات، ومجال العادات.

وبدأنا الكلام عن استخدام قرائن السياق في مجال العبادات، فكما هو مقرر، فإن العبادات توقيفية، فلا عبادة إلا بنص، وهذا التوقيف يشمل النص الشرعي الذي شرعت به العبادة، ويشمل الكيفية التي تؤدي بها هذه العبادة، وهذه الكيفية قد تكون في الصفة، أو الزمان، أو المكان، أو العدد، أو غير ذلك.

ولكي نضبط هذه العبادة وكيفيتها ضبطا صحيحا، فإنه لا بد لنا من جمع كل النصوص المتعلقة بها، والإقناع في الخطأ من حيث لا ندري وعند الجمع بين النصوص فلنضع نصب أعيننا قرينة من أهم قرائن السياق في هذا الباب، ألا وهي أنه (لا تعارض بين النصوص)

فائدة: علما بأن هذه القرينة سالفة الذكر هي في نفس الوقت قاعدة من قواعد الاستدلال فبينهما علاقة الجزء من الكل كما هو معلوم وسبق أن أشرنا في حلقات سابقة وهذا بحسب التعريف الواسع لقرائن السياق وهي كل ما يخدم النص

فما حقيقة التعارض بين النصوص؟

التعارض هو: أن يتقابل الدليلان؛ بحيث يخالف أحدهما الآخر، وشرع الله تعالى مبرا من هذا التعارض، يقول الله تعالى عن القرآن: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» (النساء: ٨٢).

وكذلك أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم مبراة من التعارض والاختلاف، قال الله تعالى: «وَمَا يَطِّقُ عَنِ الْمَوْتِ (٢) إِذْ هُوَ إِلَّا وَجْهُ يُوحَى» (النجم: ٣ - ٤).

فأدلة الشرع لا تتناقض أو تتعارض مع نفسها، بل إن جميع الأدلة متفقة لا تختلف، متلازمة لا تفتقر، يقول

وبرأ النسمة، ما علمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن.. الحديث (صحيح البخاري).
فعلى الناظر في الشريعة أمران: أحدهما: أنه ينظر إليها بعين الكمال لا بعين النقصان، ويعتبرها اعتباراً كلياً في العبادات والعادات، ولا يخرج عنها البتة..

والثاني: أن يوقن أنه لا تضاد بين آيات القرآن ولا بين الأخبار النبوية، ولا بين أحدهما مع الآخر، بل الجميع جار على مهيع واحد، ومنتظم إلا معنى واحد، فإذا آداه بادئ الرأي إلى ظاهر اختلاف فواجب عليه أن يعتقد انتفاء الاختلاف؛ لأن الله قد شهد له أن لا اختلاف فيه، فليقف وقوف المضطر السائل عن وجه الجمع، أو المسلم من غير اعتراض.. (انظر الاعتصام ٨٢٢/٢، والمهيع: هو الواضح بين).

الطرق المعينة على دفع التعارض:

الواجب: درء التعارض بين أدلة الشرع ما أمكن، ومن الطرق المعينة على ذلك:

١- التثبت من صحة الدليل، وهذا في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، والتنبه مما يدعى أنه إجماع وهو ليس كذلك والتثبت من صحة الأقيسة.

٢- الاطلاع على مصادر الشريعة، وتتبع الأدلة واستقراؤها، والنظر إليها مجتمعة، ومعرفة روايات الحديث وألفاظه، فإن بعضها يفسر بعضاً، وكذلك القراءات الثابتة.

٣- العلم بلغة العرب، وما فيها من دلالات ومعان، فإن فهم النص وسياقه، وعمومه وخصوصه، وحقيقته ومجازه، مما يزيل كثيراً من الإشكالات ويدراً كثيراً من التعارضات. (انظر معالم أصول الفقه للجزيري ص ٢٧٢).

خطوات دفع التعارض:

فإذا ظهر التعارض، فإنه يجب على الترتيب اتباع الخطوات التالية:

١- محاولة الجمع بين الأدلة ما أمكننا ذلك، والجمع يكون لأدنى مناسبة؛ لأن العمل بالدليلين خير من إسقاط أحدهما، والسواد الأعظم من إيهام التعارض يُدفع بالجمع.

وكان ابن خزيمة - يرحمه الله - يقول: يا أيها الناس، فليأتني من أي بقاع الأرض أي رجل يقول: إن هناك خبرين يتعارضان وأنا أولف بينهما.

٢- في حال عدم القدرة على الجمع بينهما، تنتقل إلى النسخ، فننظر في المتقدم والمتأخر، فيقدم المتأخر زمنياً على المتقدم للعمل به، بضوابط وتفصيلات - لن نعرض لها الآن - مع الأخذ في الحسبان أن الأصل عدم النسخ، ودعوى النسخ تحتاج إلى دليل.

٣- في حالة عدم التوصل لمعرفة الناسخ من المنسوخ، وكان هناك منافاة بين النصين، بحيث إذا عمل بأحدهما أهمل الآخر فحينئذ يُصار إلى الترجيح - بضوابطه - فیتعين ترجيح أحد النصين عن الآخر بوجه من وجوه الترجيح.

٤- إذا لم نتمكن من الترجيح، فلنطلب الدليل في المسألة من غيرها، أو من الأدلة العامة، أو المقاصد... أو غير ذلك.

٥- إذا لم نتمكن من ذلك فعلينا التوقف، والرجوع إلى من هو أعلم. (انظر «معالم أصول الفقه: للجزيري») **أمثلة تطبيقية تدفع التعارض الظاهري بين النصوص:**

أولاً: أمثلة على دفع التعارض بالجمع بين الأدلة:
المثال الأول: التعارض بين آيتين: الآية الأولى قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: « **وَأَنذِرْهُنَّ إِلَىٰ سَبِيلِ اللَّهِ مُنذِرِينَ** » (الشورى ٥٢)، والآية الثانية قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: « **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبَكَ** » (القصص ٥٦).

وجه التعارض: الآية الأولى تثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم يهدي، والثانية تنفي عنه الهدى حتى لمن أحب مع حرصه على ذلك، فالأولى أنها منفية عن لا يجب.

دفع التعارض:

في كلمة الهدى، فالمثبت في الآية الأولى هي هداية الدلالة والإرشاد إلى الحق، وهذه ثابتة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أتت في الآية المطلقة بلا تقييد لمن يجب أو لا يجب، فالنبي صلى الله عليه وسلم يدل الناس إلى شرع الله تعالى، ويبينه لهم بيانا كاملاً شافياً، ويقدم الحجة على الخلق بالبشارة والندارة. كما قال تعالى: « **رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ». أما المنفي في الآية

الثانية فهي هداية التوفيق، وهي إدخال الناس في الهداية، فهذا الأمر منفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مع من أحب؛ لأن هذا مما تفرد الله تعالى به، فلا يستطيع أحد من الخلق أن يشارك الله تعالى فيه، فالأمر كله بيد الله، قال تعالى: « **لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ** » (آل عمران: ١٢٨) (انظر مجموع فتاوى رسائل ابن عثيمين ٩/٢٤٠-٢٤١).

المثال الثاني: التعارض بين آية وحديث:

الآية: قوله تعالى: « **فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْفَ بَيَّعَةٍ** » (سوق ١٠) **بِحَاسِدٍ حَسَاً يَسِيرًا** » (الانشقاق ٧-٨)، والحديث: عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك » (متفق عليه).

الترمذي وغيره).

وجه التعارض:

في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الفجر، ويخرج الناس في الظلام.

وفي حديث رافع رضي الله عنه حث النبي صلى الله عليه وسلم على الإسفار بالفجر، والإسفار هو ظهور النور قبل طلوع الشمس مباشرة.

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة: قال الترمذي: وهو الذي اختاره (التغليس بصلاة الفجر) غير واحد من أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - ومن بعدهم من التابعين، وبه يقول الشافعي وأحمد وإسحاق، يستحبون التغليس بصلاة الفجر، ثم قال: وقد رأى غير واحد من أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين الإسفار بصلاة الفجر، وبه يقول سفيان الثوري (انظر سنن الترمذي ج ١٥٣، ح ١٥٤).

كيفية دفع التعارض:

أولاً: التأكد من صحة الحديثين: أما الحديث الأول، حديث عائشة رضي الله عنها فهو في الصحيحين، وأما الحديث الثاني: حديث رافع رضي الله عنه (فقد صححه جماعة من أهل العلم منهم الترمذي، فقال عقب إخراج الحديث: حديث رافع بن خديج حديث حسن صحيح: ح ١٥٤، وشيخ الإسلام ابن تيمية قال: فإنه حديث صحيح: الفتاوى الكبرى ٤٨/٢، والألباني في صحيح سنن الترمذي وغيره).

ثانياً: من العلماء من قال: إن حديث التغليس كان في ابتداء الإسلام ثم نسخ. ومنهم من رجح فقال: حديث عائشة رضي الله عنها حديث فعلي، بينما حديث رافع رضي الله عنه حديث قولي من قول الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقدم القول على الفعل. ومنهم من استخدم التاويل، فأول الإسفار بأن يتضح (يضيء) الفجر، فلا يتك فيه... إلى غير ذلك. وكما ذكرنا إنه لو أمكن الجمع وجب: لأن العمل بالدليلين أولى من أن نطرح دليلاً ونعمل بآخر. وهذا ما ذهب إليه أكثر من واحد من أهل العلم، يقول ابن تيمية: "أما قوله صلى الله عليه وسلم: "أسفروا بالفجر فإنه أعظم لأجر"؛ فإنه حديث صحيح، لكن قد استفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يغلس بالفجر، حتى كانت تنصرف نساء المؤمنات متلفعات بمروطهن ما يعرفهن أحد من الغلس. وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

وجه التعارض:

إن لفظ الحديث عام في تعذيب كل من حوسب، ولفظ الآية دال على أن هناك البعض ممن يحاسب لن يعذب.

دفع التعارض:

أولاً: إذا كان التعارض يتعلق بحديث واية، أو حديثين، فينبغي أن نتأكد من صحة الأحاديث أولاً قبل الجمع؛ إذ لو كان الحديث غير صحيح، فلا مجال لمعارضته لآية من كتاب الله أو لحديث صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنطرحه من المسألة.

والحديث الذي معنا في المثال، هو في الصحيحين، مما يعني أنه في أعلى مراتب الحديث الصحيح.

ثانياً: هذا التعارض الظاهري الذي يبدو لنا ما بين الآية والحديث، ظهر لعائشة رضي الله عنها، فسالت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنها تمسكت بظاهر لفظ الحساب في الحديث؛ لأنه يتناول القليل والكثير.

فجمع النبي صلى الله عليه وسلم ما بين الآية والحديث، فقال لها: إنما ذلك العرض - يعني الحساب الذي في الآية - وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب (متفق عليه). قال القرطبي: معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما ذلك العرض" أن الحساب المذكور في الآية إنما هو أن تعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف منه الله عليه في سترها عليه في الدنيا، وفي عفوها عنها في الآخرة (فتح الباري للحافظ ابن حجر ٤٠٢/١١).

قال الحافظ ابن حجر: ولأحمد وجه آخر عن عائشة - رضي الله عنها - سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلواته: اللهم حاسبني حساباً يسيراً، فلما انصرف قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، إن من توفقت الحساب يا عائشة يومئذ هلك. (فتح الباري ٤٠١/١١).

المثال الثالث: تعارض بين حديثين:

الحديث الأول: حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي الصبح فتتنصرف النساء متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس. (متفق عليه) (المروط: جمع مرط، وهو كساء مُعلم من صوف أو خز. والغلس: ظلمة آخر الليل).

الحديث الثاني: عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أسفروا بالفجر؛ فإنه أعظم لأجر" (صحيح سنن

التربية على العفة والاستعفاف

د. أحمد فريد

اعداد

بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفاً لهم في استعفافهم، وربطاً على قلوبهم، وليظهر بذلك أن فضله أولى بالأعفاء وأدنى من الصلحاء

وقال تعالى: **وَأَن يَسْتَعْفِفَ خَيْرٌ لَّهُمْ** «النور: ٦٠».

ومن الآيات الكريمة في الحض على العفة وبيان سبيلها قوله سبحانه وتعالى: **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَنفُسِهِمْ وَبِحَقْلُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** «النور: ٣٠-٣١».

فغض البصر طلب للعفة؛ لأن غضه وسيلة إلى حفظ الفرج، وقال تعالى: **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَنفُسِهِمْ وَبِحَقْلُوا فُرُوجَهُمْ**

ومن الآيات التي تحض على العفة وتمدح أهلها قوله تعالى: **وَالَّذِينَ يُؤْتِرُجُهُمْ كَيْفُوهٖ ۖ (٥) إِلَّا عَن زَوْجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ خَيْرٌ مَّا بَيْنَ يَدَيْهِمْ** «المعارج: ٢٩-٣٠».

وكذا الآيات التي تحض على الزواج؛ فالزواج أغض للبصر وأحصن للفرج، قال تعالى: **وَأَكْفُرُوا بِالزِّنَىٰ وَبِكُرِّهَاتِهَا وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِيَّائِكُمْ** «النور: ٣٢».

وكذا الآيات التي تحض على الحجاب؛ فإنها تحض على العفة والطهارة وزكاة النفس وطهارة المجتمع، قال تعالى: **وَلَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْحَكُوا بَعْرُوهٖ غَلَّظِيهٖ** «النور: ٣١».

وقوله تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّزَوْجِكَ وَمَبَايِكِ وَنِسَائِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْرِكُنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَنَنَّ** «الأحزاب: ٥٩».

والشرع كله طهارة وعفة، وصيانة للقلب والجوارح، من سلم نفسه للشرع المتين تولى تطهيره وتطيبه وحمايته ورعايته، فليس على المؤمن إلا أن يكون بين يدي الشارع كالميت بين يدي الغاسل، فالإسلام يحرم على المسلم النظر إلى الأجنبية، والخلو بها ومصافحتها والدخول عليها، والسفر بها، ويحرم على المرأة التبرج، والخضوع بالقول، والطيب خارج بيتها، فيكون بين المسلم الملتزم بالشرع وبين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن مما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم الذي يهدف إلى إقامة المجتمع المسلم، وإعادة الخلافة على منهاج النبوة على العفة والاستعفاف.

والعفة هي الكف عما لا يحل ولا يجمل. والاستعفاف: طلب العفاف وهو الكف عن الحرام. قال تعالى: **وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا** «النور: ٣٣».

وقال صلى الله عليه وسلم: "ومن يستعفف يعفه الله". (البخاري ١٤٢٧).

والعفة خلق إيماني رفيع، زينة الرجل المسلم والمرأة المسلمة في الدنيا والآخرة، وبحفظان به إيمانها، وبضمنان به استقامتهما، ويستجلبان به رضا ربهما، ويعتصمان به من معاصيه وسخطه، وبحفظان به شبابهما وصحتهما.

ومما يدل على فضل العفة والاستعفاف قوله تعالى: **وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ** «النور: ٣٣».

قال الزمخشري: [وَلْيَسْتَعْفِفِ] وليجتهد في العفة؛ كان المستعفف طالب من نفسه العفاف، وحاملها عليه [لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا] أي: استطاعة تزوج، ويجوز أن يراد بالنكاح: ما ينكح به من المال [حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ] ترجية للمستعفين وتقدمة وعد

الفاحشة أبواب كثيرة مغلقة، وقد قال الله عز وجل: **« وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا »** (الإسراء: ٣٢).

فحرم الزنا وكذا الذرائع والطرق الموصلة إليه، فالنظر المحرم والخلوة المحرمة، والسفر المحرم كل ذلك يقرب من الفاحشة.

ثمرات تربية الشباب على العفة:

ومما يعين على تربية الشباب على العفة: معرفته ثمرات العفة العاجلة والآجلة.

١- فمن ثمراتها: طهارة الفرد ونقاء المجتمع؛ فالعفيف يحيى حياة اجتماعية مستقرة يتمتع بالسمعة الطيبة، والذكر الحسن، والزواج السعيد ويهنا بنفسية مستقرة مطمئنة يأنس بالطاعة وبهجة القرب من الله، ولذة العبادة وحلاوة الإيمان، ويسعد مجتمعه بأخلاقه الفاضلة وبحياته وعفافه وحشمته وتقواه وستره وصبره.

فقل لي بربك: ألا يسعد المجتمع بأمثال هؤلاء؟ أم ان المجتمع الذي استمر العيش في الظلام، واكل اللحم الحرام، لا يريعى المحرمات ولا هم له إلا إشباع الشهوات؟!

٢- ومن ثمراتها: النجاة من الإصابة بالأمراض الخبيثة التي تلاحق أصحاب الشهوات والنزوات كالإيدز والزهري والسيلان، نعوذ بالله من الخذلان.

ومن ثمراتها: التدريب على مخالفة الهوى، والله عز وجل لم يجعل للجنة طريقاً إلا في مخالفة الهوى؛ فقال تعالى: **« وَأَمَّا مَنْ حَافَّ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ فِي آلَمَتِهِ ۖ وَإِنَّ لَلْجَنَّةِ هِيَ الْمَأْوَىٰ »** (النازعات ٤٠-٤١)، وقد حُفَّت الجنة بالمكاره، وحفَّت النار بالشهوات.

٣- ومن ثمراتها: التدريب على قوة الإرادة والعزيمة على فعل الطاعات وترك المعاصي؛ فمن استطاع مخالفة هوى نفسه تقوى إرادته في سائر الطاعات، وكذا يقوى على قهر نفسه وكفها على سائر المعاصي، أما من اتبع هواه وخالف مقتضى العفة والاستعفاف، فإنه تقوى عليه نفسه في سائر الميادين؛ فلا تراه يصمد أمام عدو أو يصبر إذا تعرض لبلاء أو يثبث إذا تعرض لفتنة النساء.

٤- ومن ثمراتها: أن يطمئن المؤمن على إيمانه وإخلاصه لله عز وجل قال تعالى: **« كَذَلِكَ يُبَصِّرُكَ اللَّهُ الشُّرُوءَ وَالْفَحِشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ »** (يوسف: ٢٤).

روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال

” صدق الإيمان أن يخلو الرجل بالمرأة الحسناء فيدعها لله ”.

٥- ومن ثمراتها: أن يصون العبد عرضه، فمن حافظ على أعراض الناس حفظ الله عرضه، ومن عبث بأعراض الناس عبث الناس بعرضه، والجزاء من جنس العمل، وقد قيل: من كان يحرص على عرضه؛ فليحرص على أعراض الناس، وكل دين لا بد له من وفاء، ودين الأعراض وفاؤه الأعراض، والمرء بهتك عرضه حين يهتك أعراض الناس.

٦- ومن ثمرات العفة: الوصول إلى الزواج المثالي؛ فإن الشباب الذي أرخى العنان لشهواته، وتعود على تدنيس الأعراض وإشباعه رغباته بالوان متعددة من المفاسد، لن يطيق صبراً عنها وإن تزوج، إلا أن يتوب، ويبدأ بزواجه صفحة جديدة من حياته، وكذلك التي خرجت من حصنها العفيف وخالطت الرجال وعاشرتهم من الصعب بعد ذلك أن تخضع لزوج تهب له كل حياتها إلا بعد توبة نصوح.

أما أهل العفاف من الرجال والنساء؛ فإن المودة والرحمة والسكن تتبادل بين الزوجين، ويرى كل منهما في الآخر الحب المخلص، والمنحة الأبدية وعنوان الرخاء فيتعلق كل منهما بالآخر إلى النهاية.

٧- ومن ثمراتها: أن يستظل العبد العفيف بظل عرش الرحمن يوم القيامة، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: ” سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال: فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه “. قال النووي: ” وخص ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها، وعسر حصولها وهي جامعة للمنصب والجمال، ولاسيما وهي داعية إلى نفسها؛ طالبة لذلك، قد أعنت عن مشاق التوصل إلى مرادها ونحوها؛ فالصبر عنها لخوف الله تعالى - وقد دعت إلى نفسها مع جمعها المنصب والجمال- من اكمل المناصب وأعظم الطاعات، فرتب الله تعالى عليه أن يظله في ظله ”.

نسأل الله أن يرزقنا الهدى والتقى والعفاف والغنى، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله
وآله وصحبه ومن آله.

وبعد: نواصل - بعون الله - الإجابة على
أسئلة قراء مجلة التوحيد عن الأحاديث النبوية

الشريفة، فنقول:

١- سُئِلت عن حديث: (ذهب حُسن الخلق بخير
الدنيا والآخرة).

قلت: هذا حديث منكّر.

أخرجه ابن أبي الدنيا في (التواضع) (١٦٩)،
قال: حدثني أبو محمد العباس بن أبي طالب،
ثنا عبيد بن إسحاق، عن سنان بن هارون، عن
حميد الطويل، عن أنس مرفوعاً بحروفه.
وأخرجه الباغندي في (الأمالي) (١٢١٣)،
والبزار (٦٦٣١- البحر)، قال: حدثنا محمد بن
عبد الرحيم. والطبراني في (الكبير) (ج٢٣/رقم
٤١١)، قال: حدثنا محمد بن العباس المؤدب.
وابن عدي في (الكامل) (٣٤٨/٥). وابن شاهين
في (الترغيب) (٣٦٣) عن محمد بن عوف.
والعقيلي في (الضعفاء) (١٧١/٤) قال: حدثنا
محمد بن إسماعيل. وأبو الشيخ في (الطبقات)
(١٠٥١) عن أبي بشر، وابن بشران في (الأمالي)
(٧٣٤)، عن محمد بن سليمان، قالوا: ثنا عبيد
بن إسحاق، ثنا سنان بن هارون، عن حميد
الطويل، عن أنس، قال: قالت أم حبيبة زوج
النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله
المرأة منا يكون لها في الدنيا زوجان ثم تموت،
فتدخل الجنة هي وزوجها، لايهما تكون للأول
أو للآخر، قال: (تخير أحسنهما خلقاً كان معها
في الدنيا، فيكون زوجها في الجنة. يا أم حبيبة
ذهب حُسن الخلق بخير الدنيا والآخرة). وهذا
إسناد ضعيف جداً، وعبيد بن إسحاق متروك،
وسنان بن هارون ضعيف. وليس عند البزار
محل الشاهد.

وقال أبو حاتم الرازي - كما في (علل ولده)
(١٢٥٢) -: (هذا حديث موضوع لا أصل له،
وسنان عنده مستور). وقد وقع حديث الترجمة
في (علل ابن أبي حاتم) موقوفاً من قول أم
حبيبة، ولا أدري كيف حدث ذلك فهو مرفوع من
جميع طرقه. والله أعلم.

وله شاهد من حديث أم سلمة، أخرجه الطبراني
في (الكبير) (٢٣/رقم ٨٠٧) وفي (الأوسط)
(٣١٤١)، وابن عدي في (الكامل) (٢٦٢/٣)،
والخطيب في (تاريخ بغداد) (٦/١٧٢)، وابن



أسئلة القراء عن الأحاديث

المحدث

أبو إسحاق الحويني

كتبه

في الأحاديث المرفوعة وعمل الصحابة، والله أعلم.

٣- وسُئلت: هل صح أن امرأة مات أبوها فلم تحضر جنازته طاعة لزوجها، فغفر الله لأبيها بطاعتها لزوجها.

قلت: قد ورد الحديث بذلك، ولكنه باطل.

أخرجه عبد بن حميد في (المنتخب) (١٣٦٩)، قال: حدثني يحيى بن عبد الحميد. والحارث بن أبي أسامة في (المسند) (٤٩٩ - زوائده) قال: حدثنا يزيد بن هارون. والحكيم الترمذي في (نوارير الأصول) (٧٩٠، ٧٩١)، قال: حدثنا إبراهيم بن سالم بن رشيد الهجيمي، وصالح بن عبد الله - فرقهما -، وابن عدي في (الكامل) (٢٦١١/٧) عن عمرو بن يزيد النيسابوري، قالوا: ثنا يوسف بن عطية، عن ثابت عن أنس، أن امرأة كانت تحت رجل فمرض أبوها، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن أبي مريض وزوجي يأبى أن يأذن لي أن أمرضه، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: أطيعي زوجك، فمات أبوها، فاستأذنت زوجها أن تصلي عليه، فأبى زوجها أن يأذن لها في الصلاة عليه، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أطيعي زوجك، فطاعت زوجها، ولم تصل على أبيها، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: قد غفر الله لأبيك بطاعتك لزوجك.

قال ابن عدي: غير محفوظ.

قلت: هو باطل، ويوسف بن عطية متروك، ولا يحتمل ثابت مثل هذا الباطل. نعم! لم يتفرد به يوسف، فتابعه زافر بن سليمان، فرواه عن ثابت، عن أنس، أن رجلا خرج وأمر امرأته ألا تخرج من بيتها، وكان أبوها في أسفل الدار وكانت في أعلاها، فمرض أبوها... وساق الحديث بمثله.

أخرجه الطبراني في (الأوسط) (٧٦٤٨)، قال: حدثنا محمد بن موسى، نا محمد بن سهل بن مخلد الإصطخري، نا عصمة بن المتوكل، حدثنا زافر بن سليمان بهذا قال الطبراني: (لم يرو هذا الحديث عن زافر بن سليمان إلا عصمة بن المتوكل)، وهذا منكر أيضا، وعصمة بن المتوكل ضعيف، وزافر كثير الأوهام. والله أعلم.

٤- وسُئلت عن حديث: (إن القبر ينادي ابن آدم إذا دُفن فيه يقول: أنا بيت الدود أنا بيت الظلمة).

قلت: هذا حديث ضعيف جدا.

أخرجه ابن أبي عاصم في (الأحاد والمثاني)

الجوزي في (الواهيات) (١١٦/٢)، عن بكر بن سهل، ثنا عمرو بن هاشم، ثنا سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة بنحوه. وإسناده واه، وبكر بن سهل ضعفه النسائي، وسليمان بن أبي كريمة، ضعفه أبو حاتم وغيره.

وقال ابن عدي: هذا حديث منكر.

٢- وسُئلت عن حديث: (إن في الجمعة ساعة من النهار لا يسأل العبد فيها شيئا إلا أعطي سؤله) قالوا: أي ساعة: قال: (حين تقام الصلاة، إلى الانصراف منها).

قلت: هذا حديث منكر.

أخرجه الترمذي (٤٩٠)، وابن عبد البر في (التمهيد) (٢٠/١٩ - ٢١)، عن أبي عامر العقدي. وابن ماجه (١١٣٨)، وابن أبي شيبة (١٥٠/٢)، وعبد بن حميد في (المنتخب) (٢٩١)، عن خالد بن مخلد القطواني.

والطبراني في (الكبير) (ج١٧/رقم ٧)، وابن قانع في (معجم الصحابة) (١٩٨/٢)، والبيهقي في (الشعب) (٢٩٨١) عن إسماعيل بن أبي أويس، كلهم عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده، مرفوعا به. وتابعهم محمد بن خالد على الإسناد، ولكن بلفظ: (الساعة التي ترجى يوم الجمعة من حين يخرج الإمام إلى أن يفرغ من الخطبة) أخرجه البزار (٣٣٨٨- البحر) قال: أخبرنا عمرو بن علي، قال: أخبرنا محمد بن خالد بهذا. وهذا الاختلاف في المتن عندي من محمد بن خالد بن عثمة، فهو لا بأس به، ولكن قال ابن حبان ربما أخطأ، وذكر البيهقي أن الدراوردي رواه عن كثير بن عبد الله بلفظ: (ما بين نزول الإمام عن المنبر إلى الانصراف. قال الترمذي: (حسن غريب).

قلت: وإسناده ضعيف جدا، وكثير بن عبد الله ضعفه ابن معين، وتركه الدارقطني، بل قال الشافعي: (ركن من أركان الكذب)، وقال ابن حبان: (منكر الحديث جدا، يروي عن أبيه عن جده نسخة موضوعة، لا يحل ذكرها في الكتب، ولا الرواية عنه إلا على جهة التعجب).

وقد روى مسلم (٨٥٣) عن أبي موسى الأشعري مرفوعا: (هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة)، وأعله الدارقطني بالوقف.

وأصح الأقوال في ساعة الإجابة أنها بعد العصر إلى غروب الشمس من يوم الجمعة، وقد ثبت هذا

عشرة: (الجبال، والحديد ينحت الجبال، والنار تاكل الحديد، والماء يطفى النار، والسحاب المسخر بين السماء والأرض يحمل الماء، والريح تقل السحاب، والإنسان يتقى الريح بيده، ويذهب فيها لحاجته، والسكّر يغلب الإنسان، والنوم يغلب السكر، والهيم يمنع النوم، فأشد خلق ربك الهيم).

وهذا سند ضعيف جدا، والحارث الأعور متروك، وقد رواه الحكيم الترمذي في (نوار الأصول) (١٤٢٦)، قال: حدثنا الجارود بن معاذ، قال: نا وكيع، عن زكريا ابن أبي زائدة، عن الشعبي، عن علي نحوه، فسقط ذكر: (الحارث الأعور) فيصير السند حينئذ منقطعاً. أما ان الإنسان هو أشد خلق الله: فقد ورد فيه الحديث مرفوعاً، أخرجه الترمذي (٣٣٦٩)، وأحمد (١٢٤/٣)، وعبد بن حميد في (المنتخب) (١٢١٥)، وأبو يعلى (٤٣١٠)، والحكيم الترمذي في (نوار الأصول) (١٤٢٥)، وبحشل في (تاريخ واسط) (ص ٦٢)، وأبو الشيخ في (العظمة) (٨٩٦)، والبيهقي في (الشعب) (٣٤٤١)، والخطيب في (المتفق والمفترق) (٦٢٥)، والأصبهاني في (الترغيب) (١٦٦١)، والضياء في (المختارة) (٢١٤٩، ٢١٥٠)، من طريق يزيد بن هارون. وأبو الشيخ في (العظمة) أيضاً (٨٧٢) عن هشيم بن بشير، كلهم عن العوام بن حوشب، عن سليمان بن أبي سليمان مولى ابن عباس، عن أنس بن مالك مرفوعاً: (لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت، فتمعجت الملائكة من خلق الجبال، فقالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم، الحديد. فقالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار. قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال: نعم، الماء. قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم، الريح. قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها من شماله. قال الترمذي: (هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه). وقال ابن منده: (هذا إسناد ثابت على رسم النسائي).

قلت: كذا قال! وأفته سليمان بن أبي سليمان، فقد قال فيه ابن معين: (لا أعرفه). وقال الذهبي: (لا يكاد يُعرف، روى عنه العوام بن حوشب وحده، فمما يُستغرب أن يحسن إسناده الحافظ في (الفتح) (١٤٧/٢). والأشبه أنه من قول قيس بن عباد كما أخرجه ابن جرير في (تفسيره) (٩٠/١٤)، وأبو الشيخ في (العظمة) (٨٧٣)، (٩٠٤)، ورجال إسناده ثقات، والله أعلم.

(٢٤١٢). والحكيم الترمذي في (نوار الأصول) (٧٣٥)، والطبراني في (الكبير) (ج ٢٢/رقم ٩٤٢)، وأبو نعيم في (معرفة الصحابة) (٦٧٤٨) عن محمد بن المصفى. وأبو يعلى (٦٨٧٠)، ومن طريقه ابن الأثير في (أسد الغابة) (٦٩/٦) قال: حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود، وليس بالزهراني. وابن أبي الدنيا في (التواضع) (٢٣٥) - ووقع سقط في الإسناد - قال: حدثنا نصر بن عمار، قالوا: حدثنا بقية بن الوليد، ثنا أبو بكر بن أبي مريم، عن الهيثم بن مالك الطائي، عن عبد الرحمن بن عائذ الأزدي، عن أبي الحجاج الثمالي، مرفوعاً: (يقول القبر للميت حين يُوضع فيه: ويحك يا ابن آدم ما غرك بي؟! ألم تعلم أني بيت الظلمة، وبيت الفتنة، وبيت الوحدة، وبيت الدود، ما غرك بي إذ كنت تمر عليّ فداداً؟ فإن كان مصلحاً أجب عنه مجيب القبر فيقول: أرايت إن كان ممن يامر بالمعروف، وينهى عن المنكر؟ فيقول القبر: إني إذا أعود عليه خضراً، ويعود جسده نوراً، وتصعد روحه إلى رب العالمين).

وعند ابن أبي عاصم وغيره، قال ابن عائذ: يا أبا الحجاج، ما الفداد؟ قال: الذي يقدم رجلاً، ويؤخر أخرى كمشيتك يا ابن أخي أحياناً. وهو يومئذ يلبس ويتهاى.

وتوبع بقية، تابعه أبو اليمان الحكم بن نافع، فرواه عن أبي بكر بن أبي مريم بهذا الإسناد. أخرجه الطبراني في (مسند الشاميين) (١٤٩٩)، وعنه أبو نعيم في (الحلية) (٩٠/٦)، وفي (معرفة الصحابة) (٦٧٤٨)، قال: حدثنا أبو زرعة الدمشقي ثنا أبو اليمان بهذا. قال أبو نعيم: (غريب من حديث الهيثم بن مالك عن عبد الرحمن). وأبو الحجاج مختلف في صحبته.

قلت: وسنده ضعيف جداً، وأبو بكر بن أبي مريم ضعفه أحمد وابن معين والنسائي وأبو زرعة، وتركه الدارقطني، وقال ابن عدي: (الغالب على حديثه الغرائب، وقلما يوافق الثقات).

٥- وسأل سائل: هل ورد أن الهيم هو أشد خلق الله. وفي رواية: أن أشد خلق الله الإنسان.

قلت: قد ورد الأول موقوفاً، ولم أره مرفوعاً، ولكنه لا يصح.

أما الهيم: فأخرج الطبراني في (الأوسط) (٩٠١) و ابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٤٠١/٤٢) من طريق يحيى بن زكريا ابن أبي زائدة عن أبيه، عن الشعبي، عن الحارث الأعور، عن عليّ قال: أشد خلق ربك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

ففي هذا المقال نتحدث عن مثل آخر من الأمثال في القرآن وهو من سورة آل عمران، الآية السادسة عشر بعد المائة والسابعة عشر بعد المائة، قال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ آمَانُ لَهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٣﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ» [آل عمران: ١١٦-١١٧].

المعنى الإجمالي:

قال ابن القيم في «الجامع لأمثال القرآن» (ص ٩٠): هذا مثل ضربه الله تعالى لمن أنفق ماله في غير طاعته ومرضاته، فشيء سبحانه ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر لا يبيغون به وجه الله، وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله واتباع رسله عليهم الصلاة والسلام؛ بالزرع الذي زرعه صاحبه يربحو نفعه وخيره فأصابته ريح شديدة البرد جدًا يهلك بردها ما يمر عليه من الزرع والثمار، فاهلكت ذلك الزرع وابتسته.

المعنى المفصل:

قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» قال ابن عثيمين في تفسير آل عمران ٨٦/٢: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» يشمل كل من كفر بالله من يهودي أو نصراني أو شيعي أو دهرى أو مسلم ارتد، المهم أن كل من كفر بالله فهذا حكمه.

فائدة (مستفادة من شرح ابن عثيمين): والكفر ذكر أهل العلم أنه قسمان: كفر مخرج عن الملة، وكفر غير مخرج عن الملة، وعليه ينزل قول ابن عباس في قوله: «وَمَنْ لَمْ يَكُفِرْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ» [المائدة: ٤٤]، قال: كفر دون كفر، ومن أمثلة هذا النوع أعني الذي لا يخرج من الملة قول النبي صلى الله عليه وسلم: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر» رواد البخاري ومسلم.

فإن قتال المسلم ليس بكفر أي: ليس بكفر مخرج عن الملة ولكنه كفر دون كفر؛ لأنه لا أحد يقدم على قتل المسلم إلا الكافر، فإذا أقدم المسلم على قتل أخيه المسلم فقد أتى بخصلة من خصال الكفر، والدليل على أن قتال المسلم ليس بكفر مخرج من الملة قوله تعالى: «وَلَنْ نَّطَاقَيْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَقَى إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» [الحجرات: ٩]، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «اثنان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت». [رواه مسلم]. ولها أمثلة. المهم أن هذا كفر أصغر لا يخرج من الإسلام، وأما الكفر الأكبر فهو الكفر الذي يخرج من الإسلام مثل قوله تعالى: «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ

دراسات قرآنية



الأمثال في القرآن

مثل ما ينفق

الكافر

في الدنيا

مصطفى البصراوي

إعداد

بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا» [النحل: ١٠٦].

وقال ابن عطية: وقال البغوي (في معالم التنزيل ٢٦٩/١): في قوله: «**لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ آتَاءِ اللَّهِ شَيْئًا**» [آل عمران: ١٠] أي: لا تدفع أموالهم بالفدية وأولادهم بالنصرة من الله شيئاً، أي: من عذاب الله، وخصهما بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة الاستعانة بالأولاد.

«**أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**» [الأعراف: ٣٦] وإنما جعلهم من أصحابها لأنهم أهلها لا يخرجون منها ولا يفارقونها، كصاحب الرجل لا يفارقه. اهـ. البغوي.

فـ «أصحاب النار» أي: أهلها الملازمون لها، وهم فيها خالدون» أي: ماكتون. نسال الله السلامة.

قوله: «**مِثْلَ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمِثْلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ**» [آل عمران: ١١٧].

قال ابن عثيمين رحمه الله: «هذا تشبيه تمثيلي، بمعنى أن تشبّه الهيئة بالهيئة، يكون المشبه شيئاً مؤلفاً من عدة أمور، والمشبه به كذلك يكون شيئاً مؤلفاً من عدة أمور، فيسمى عند البلاغيين تشبيهاً تمثلياً،

«**كَمِثْلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ**» الصورة الآن: ريح شديدة فيها برودة عظيمة ولها صرير من شدتها أصابت حرت قوم ظلموا أنفسهم، فالتشبيه مركب الآن من ريح شديدة باردة أصابت حرت قوم يعني: زرعهم.

وقوله: «**كَمِثْلِ رِيحٍ**» قال الطاهر ابن عاشور في «التحريير والتنوير» (٨٥/٢) هو من آيات الخالق وعظيم قدرته؛ لأن هبوب الريح وركودها آية، واختلاف مهابها آية، فلولا الصانع الحكيم الذي أودع أسرار الكائنات لما هبت الريح أو لما ركبت، ولما اختلفت مهابها، بل دامت من جهة واحدة، وهذا موضع العبرة. اهـ.

«**فِيهَا صِرٌّ**»: قال ابن عطية: الصرُّ: البرد الشديد المحرق لكل ما يهب عليه، وهو معروف، قال ابن عباس وجمهور المفسرين: الصرُّ: البرد، وذهب الزجاج وغيره إلى أن اللفظة من التصرير من قولهم: صرَّ الشيء، ومنه الريح الصرصر، قال الزجاج: فالصرُّ: صوت النار التي فيها الريح. اهـ.

قوله: «**أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ**»: تنبيه على أن سبب إصابتها لحرتهم هو ظلمهم فهو الذي سلط عليهم الريح المذكورة حتى أهلكت زرعهم وأبيستهم، فظلمهم هو الريح التي أهلكت أعمالهم ونفقاتهم. [انظر: تهذيب التفسير وتجريد التاويل ٤٥/٣-٤٨].

«الحرت» قال الطاهر ابن عاشور: والحرت أصله مصدر حرت الأرض إذا شقها بالة ليزرع فيها أو يغرّس، وأطلق هذا المصدر على المحروث فصار يطلق على الجنات والحوائط وحقول الزرع.

«ظلموا أنفسهم» أي: استحقوا أن يعذبهم الله عز وجل بهذه الريح فأهلكته، فإذا هبت الريح العاصفة الباردة القوية انتقاماً من بني آدم فإنها سوف تهلك هذا الحرت.

ووجه الشبه ظاهر: لأنهم سلطوا على أموالهم تسليطاً عظيماً لكن لم ينتفعوا بهذا التسليط، وضاعت هباءً كما قال الله تعالى: «**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْعَلُوْنَ بِهَا شَيْئًا كَثِيرًا عَنَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يَصُدُّوْنَ**» [الأنفال: ٣٦].

هذه حال الكفار إذا أنفقوا أموالهم لن ينتفعوا بها إطلاقاً، كمثل ريح فيها صر أصابت حرت قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته.

قوله: «وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون» قال في التحرير والتنوير: الضمائر فيه عائدة على الذين كفروا، والمعنى أن الله لم يظلمهم حين لم يتقبل نفقاتهم، بل هم تسبوا في ذلك؛ إذ لم يؤمنوا لأن الإيمان جعله الله شرطاً في قبول الأعمال، فلما أعلمهم بذلك وأنذرهم لم يكن عقابه بعد ذلك ظملاً لهم، وفيه إيذان بأن الله لا يخلف وعد من نفى الظلم عن نفسه.

وهكذا يتقرر: أن لا جزاء على بذل، وأن لا قيمة لعمل إلا أن يرتبط بمنهج الله، وإلا أن يكون باعته الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

من فوائد هاتين الآيتين الكريميتين [مستفادة من تفسير ابن عثيمين ٩٠/٢]:

١. بيان أن الكفار مهما بلغوا في القوة عدداً ومدداً فإن قوتهم لن تغنيهم من الله شيئاً، عدداً لقوله: «**أولاد**» ومدداً لقوله: «**أموال**»، مهما كثرت قوتهم عدداً ومدداً فإنها لن تغني عنهم من الله شيئاً.
٢. تمام قدرة الله وسلطته على العباد حيث إن الكفار العتاة لا يستطيعون أن يدفعوا شيئاً بأموالهم وأولادهم مما قضاه الله عز وجل، فإن قال

يكون في هذه الآية إثبات القياس.
 ٦. حسن أو تمام بلاغة القرآن، وذلك بقياس الغائب على الشاهد، ووجهه أن الريح التي فيها صر وأصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم كل يعرف أنها مدمرة ومهلكة، فكذلك أعمال الكافرين هالكة لا خير فيها؛ لأن الكفر مدمر لها، «وَمَا تَعْمَدُ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِالْوَعْدِ وَرَسُولِهِ» [التوبة: ٥٤].

٧. أن الكافر لن ينتفع بما عمل في الآخرة، ووجهه أنه إذا هلك ما عمله وزال فإنه لن ينفعه لكن قد ينفعه في الدنيا، فيدفع الله عنه به من البلاء ما يدفع، أو يحصل من الخير الذي يرجوه ما يحصل بسبب الإنفاق الذي أنفقه من ماله.

٨. انتفاء الظلم عن الله؛ لقوله: «وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ».

٩. إثبات أن الله تعالى موصوف بالنفي كما هو موصوف بالإثبات. وصف الله بالإثبات كثير في القرآن، ووصفه بالنفي أقل لكنه موجود، هذا النفي الذي وصف الله به نفسه هل هو نفي محض مجرد؟ لا، بل هو نفي متضمن لثبوت، وهو كمال ضد ذلك الشيء، فإذا قال الله عن نفسه: «وَمَا رَبُّكَ بِظَلْمٍ - لِّتَقْدِيرٍ» [فصلت: ٤٦] قلنا: لكمال عدله. وإذا قال: «وَمَا آتَاكَ بِحَدِّبٍ عَسَا تَعْمَلُونَ» [البقرة: ١٤٤] قلنا: لكمال مراقبته. وإذا قال: «وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُتُوبٍ» [ق: ٣٨] قلنا: لكمال قوته وقدرته، وهلم جرا، لا يمكن أن يوجد في صفات الله نفي محض بل هو نفي متضمن لثبوت ضده على وجه الكمال، يقول العلماء رحمهم الله: ولا بد من هذا التقدير إثبات كمال الضد؛ لأن مجرد النفي إن كان لعدم القابلية فلا مدح فيه، وإن كان للعجز المنفي فهو نقص.

لو قلنا: إن الله لا يظلم لأنه لا يستطيع أن يظلم، لا شك أنه نقص، إذن القاعدة فيما وصف الله به من النفي أنه ليس نفيًا محضًا بل هو متضمن لإثبات الكمال، الكمال ضد ذلك المنفي.

١٠. أن نفس الإنسان عنده أمانة يلحقها ظلمه وغشمه، ويلحقها بره وإحسانه، فيجب أن يرعى هذه الأمانة حقها، وإذا كان يجب على الإنسان أن يرعى الأمانة في ولده وأهله ففي نفسه من باب أولى، ولهذا قال تعالى: «تَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ» [البقرة: ١٩٥] هذه وصية منه تعالى لنا بانفسنا وقال: «يُؤَسِّبُكَ اللَّهُ ذُرِّيَّتَكَ» [النساء: ١١] فأوصانا الله بأولادنا وصية منه لنا بأولادنا، والولد بضعة من أبيه.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائل: مفهوم الآية أن المؤمنين تغني عنهم أموالهم وأولادهم من الله شيئًا، قلنا: هذا غير مراد؛ لأن الآية سبقت في الرد على الكفار الذين يفتخرون بأموالهم وأولادهم، فيبين الله أن أموالهم وأولادهم لا تغني عنهم من الله شيئًا، أما المؤمنون فقد قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» [المنافقون: ٩]، ولا أحد ينفعه ماله وولده إلا أن يكون عونًا له على طاعة الله.

٣. أن الكفار في النار؛ لقوله تعالى: «وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ».

٤. أنهم مخلدون فيها؛ لقوله: «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»، والجملة اسمية تدل على الدوام والثبوت، فإن قال قائل: هل هذا الخلود أبدي أم له غاية؟

فالجواب: أنه أبدي وليس له غاية، ودليل ذلك في كتاب الله في ثلاث آيات منه في النساء والأحزاب والجن، ففي النساء يقول الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ طَرِيقًا ﴿١٥٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ» [النساء: ١٦٨، ١٦٩].

وفي سورة الأحزاب يقول تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَمَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٥٠﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ لَا يُجَدُّونَ وَلَا يَسْتَرْجِعُونَ» [الأحزاب: ٦٤، ٦٥].

وفي سورة الجن: «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا» [الجن: ٢٣]، وليس بعد هذه الآيات قول يقال، بل لو قاله قائل

فقوله مردود عليه؛ لأن هذا أمر غيبي لا يعلم إلا من قبل الشرع والوحي، والوحي كما ترون نزل بانهم خالدون فيها أبداً، وإذا جاء النص فلا قياس، فمن ادعى أنهم يخلدون فيها إلى أمد فإنه لولا تأويله لكان أمره خطيرا جدا، لكنه تأول واشتبهت عليه بعض الآيات، لأن ظاهر هذا القول تكذيب القرآن، والأمر خطير جدا، ولكنه صدر من أناس نعلم نصحهم لكتاب الله ولسنة نبيه ولأئمة المسلمين وعامتهم على وجه تناولوا فيه، والله يغفر لهم تأويلهم، لكن بالنسبة للعقيدة التي بين الإنسان وبين ربه إذا تبين له خطأ عالم من العلماء وجب عليه مخالفته، أما بالنسبة للعالم فنرجو له المغفرة والرحمة إذا علم بالنصح للأمة لأنه غير معصوم، والعصمة في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

٥. إثبات القياس؛ لقوله: «مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ»، ووجه ذلك: أن المثل إلحاق للأصل بالفرع، إلحاق للمتشبه بالمشبه به، وهذا هو أصل القياس، إلحاق فرع بأصل في حكم لعللة جامعة، فكل مثال ضربه الله في القرآن ففيه دليل على القياس إذ إنه إلحاق المشبه بالمشبه به، وعليه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:
وبعد:

فإن الله تعالى ميز هذه الأمة (أمة الإسلام) بالوسطية بين الأمم فقال سبحانه « **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ حَكِيمًا** » [البقرة: ١٤٣]. والوسطية هنا تعني: العدل والخيار وسائر أنواع الفضل، فهي أفضل الأمم.

ثم ميز الله أهل السنة والجماعة بالوسطية بين فرق المسلمين، فقال صلى الله عليه وسلم « **لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ...** » الحديث. (صحيح مسلم ١٥٦).

فأهل السنة هم في جملتهم (العدول الخيار) أهل التوسط والاعتدال في كل أمور الدين: عقيدة وعلماً وعملاً وأخلاقاً ومواقف. وسط بين الغلو والتقصير وبين التفريط والإفراط في سائر الأمور.

والاعتدال هو: الاستقامة والتزكية، والتوسط والخيرية.

وقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم الوسطية بقوله: (والوسط: العدل)، كما في الحديث: عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ لَا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ، فَيَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلْ ذِكْرُهُ: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَالْوَسْطُ الْعَدْلُ** ». [صحيح البخاري ١٣٤/٤].

ولا يتحقق الاعتدال في الاعتقاد والعمل والعلم والدعوة وغيرهما إلا بالتزام الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين.

والوسطية ضد الغلو: وهو مجاوزة الحد. قال تعالى: « **لَا تَقْتُلُوا فِي وِجْهَتِكُمْ** » [النساء: ١٧١] وقال صلى الله عليه وسلم: « **إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ** ». فالوسطية تعني ترك المغالاة، ولأن أمة الإسلام أمة وسط نهاهم الله تعالى عن الغلو في كل شيء في الدين والحكم بين الناس، فأمر بالعدل، قال الله تبارك وتعالى: « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاانُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَقُولُوا لِمَا كُنْتُمْ يَتَّقُونَ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** » [المائدة: ٨].

والآية دليل على أن يعدل المؤمنون مع الناس



الإسلام دين وسط

رسول الله

جمال عيد الرحمن

إعداد

واحدًا من الفريقين. أخرجه الطبراني ١٩/١٦٠، البيهقي في "الدلائل" ٧/٤ بإسناد صحيح إلى الزهري. وفيه "فصلت طائفة إيمانًا واحتسابًا، وتركت طائفة إيمانًا واحتسابًا". [صحيح ابن حبان - محققًا ٢٠/١١].

وأصل القصة عند البخاري: عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الأحزاب: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة، فادرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم، فلم يعنف أحدًا منهم». [صحيح البخاري ١٥/٢].

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: وفي هذا الحديث من الفقه أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية ولا على من استنبط من النص معنى يخصه، وفيه أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب، قال السهيلي: ولا يستحيل أن يكون الشيء صوابًا في حق إنسان وخطأ في حق غيره وإنما المجال أن يحكم في النازلة بحكمين متضادين في حق شخص واحد. قال: فكل مجتهد وافق اجتهاده وجهًا من التأويل فهو مصيب انتهى... ونقل عن الأشعري أن كل مجتهد مصيب، وأن حكم الله تابع لظن المجتهد، وقال بعض الحنفية وبعض الشافعية: هو مصيب باجتهاده، وإن لم يصب ما في نفس الأمر فهو مخطئ وله أجر واحد. [فتح الباري لابن حجر ٤٠٩/٧].

وقال النووي رحمه الله تعالى: ولا خلاف في ترك تعنيف المجتهد وإن أخطأ إذا بذل وسعه، قال: فأخذ بعض الصحابة بهذا المفهوم (وهو عدم تأخير الصلاة عن وقتها) نظرًا إلى المعنى لا إلى اللفظ، فصلوا حين خافوا فوات الوقت، وأخذ آخرون بظاهر اللفظ وحقيقته، فأخروا الصلاة لحين الوصول إلى بني قريظة. ولم يعنف الشارع أحدًا منهما، لأنهم مجتهدون، ففيه دليل لمن يقول بالمفهوم والقياس ومراعاة المعنى (روح النص) وكذلك لمن يقول بالظاهر أيضًا. وقال الداودي: فيه أن المتأول إذا لم ينبذ في التأويل ليس بمخطئ، وأن السكوت على فعل أمر كالقول بإجازته. عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٦٥/٦].

ومن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم بإزاء الفريقين من قبول اجتهاديهما دون أن يفصح عن

ولو كانوا أعداء، ولا تكون الكراهية لأحد مانعًا من تحري العدل معه. هذا، ونسال الله أن يجعلنا من أهل الحق والعدل والاستقامة، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق والهدى، ويقيهم شر الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وإن أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم للأمة الوسط بكل معاني الوسط، سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي والحسي.

ولاتزال أمة وسطًا في التصور والاعتقاد، أمة وسطًا في التفكير والشعور، أمة وسطًا في التنظيم والتنسيق، أمة وسطًا في الارتباطات والعلاقات، أمة وسطًا في الزمان، أمة وسطًا في المكان، وما يعوق هذه الأمة اليوم عن أن تأخذ مكانها هذا الذي وهبه الله لها، إلا أنها تخلت عن منهج الله الذي اختاره لها، واتخذت لها مناهج مختلفة، ليست هي التي اختارها الله لها.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد أهل العدل والوسطية، ومعلم الناس ألا إفراط ولا تفريط في الشريعة الحنيفية، وكانت سيرته صلى الله عليه وسلم حافلة بالمواقف العظيمة في كافة النواحي التي يرى فيها العدل والاستقامة، والرحمة والتوسط والخيرية.

- قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى: لما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة الخندق راجعًا إلى المدينة أتاه جبريل فقال: إن الله يامر أن تسيروا إلى بني قريظة، فأمر بلالًا فأذن في الناس: من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة. وعن عبيد الله بن كعب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من طلب الأحزاب وضع عنه الأمانة (درع يلبسها المقاتل في الحرب)، واغتسل، واستجمر (تعطر) فتبدي (ظهر) له جبريل، فقال: عذيرك من محارب (أي من يعذرك أيها المحارب لخلعك ثياب الحرب)، ألا أراك قد وضعت الأمانة وما وضعتها بعد، قال: فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرعًا، فعزم على الناس أن لا يصلوا العصر حتى يأتوا بني قريظة، قال: فلبس الناس السلاح، فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس قال: فاختموا عند غروب الشمس، فصلت طائفة العصر، وتركتها طائفة، وقالت: إنا في عزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس علينا إثم، فلم يعنف

قصده لهم، يظهر العدل والإنصاف والوسطية والرحمة بالمجتهدين، وليكون فعله قدوة لاتباعه أن يكونوا أهل رفق بالمخالفين، حتى لا يفرح كل حزب بما لديه، ويتعصب كل فريق للذي هو عليه، محاولاً حَمْلَ خصمه على ما يراه، وإخضاعه بين يديه. فما أجمل الإسلام وما أعظم وسطية هذا الدين.

تطبيق الصحابة رضوان الله عليهم لهذا المنهج الوسطي

العجيب:

وحتى نتلمس أدب الاختلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم عند القضايا الخلافية، نقول: كان ابن عباس رضي الله عنهما يذهب كالصديق وكثير من الصحابة إلى أن الجد يسقط جميع الإخوة والأخوات في المواريث كالأب، وكان زيد بن ثابت كعلي وابن مسعود وفريق آخر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يذهب إلى توريث الإخوة مع الجد ولا يحجبهم به، فقال ابن عباس يوماً: ألا يتقي الله زيد، يجعل ابن الابن ابناً ولا يجعل أب الأب أباً؟

إن ابن عباس رضي الله عنهما الذي بلغت ثقته بصحة اجتهاده وخطا اجتهاد زيد هذا الحد الذي رايناه، رأى زيد بن ثابت يركب دابته فأخذ بركابه يقود به، فقال زيد: تنح يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فيقول ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا. فقال زيد: أرني يدك. فأخرج ابن عباس يده، فقبلها زيد، وقال: هكذا أمرنا أن نفعل باهل بيت نبينا. وحين توفي زيد قال ابن عباس: «هكذا يذهب العلم». وفي رواية البيهقي في سننه الكبرى «هكذا ذهب العلم، لقد دفن اليوم علم كثير». [أدب الاختلاف في الإسلام لطف جابر العلواني ص: ٦٦].

ويسأل بعضهم أمير المؤمنين علياً عن «أهل الجمل» أمشركون هم؟ فيقول رضي الله عنه: من الشرك فرأوا. قال: أمنافقون هم؟ فيقول رضي الله عنه: إن المنافقين لا يذكرن الله إلا قليلاً. فقال: فمن هم إذن؟ فيقول رضي الله عنه: إخواننا بغوا علينا. [البيهقي في السنن ٨/١٧٣].

- وصلى الرشيد إماماً وقد احتجم، فصلى الإمام أبو يوسف خلفه ولم يعد الصلاة مع أن الحجامه عنده تنقض الوضوء. وكان الإمام أحمد بن حنبل يرى الوضوء من الرعاف والحجامه فليل له: فإن كان الإمام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ هل يصلى خلفه؟ فقال: «كيف لا أصلي خلف الإمام مالك وسعيد

بن المسيب». وكان لا يريان الوضوء من خروج الدم.

وصلى الشافعي رحمه الله الصبح قريباً من مقبرة أبي حنيفة رحمه الله فلم يقنت، والقنوت عنده سنة مؤكدة فليل له في ذلك، فقال: «أخالفه وأنا في حضرته!». [أدب الاختلاف في الإسلام ص: ١١٧]

وتستعين بالله سبحانه الآن في سرد مواضع متعددة في جوانب كثيرة من هذه الشريعة الغراء؛ تظهر فيها وسطية هذا الدين العظيم.

١- الوسطية في كيفية الدعاء:

نهى الله سبحانه عن الغلو في دعائه عز وجل، مع أن «الدعاء هو العبادة»، حيث أمر بالتوسط فيه دون الجهر وفوق المخافتة، فقال الله تبارك وتعالى: **«قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ كَثِيرٌ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَاتَّبِعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا»** [الإسراء: ١١٠]. أي: لا تجهر بدعائك ولا تخفض الصوت كالصامت.

٢- الوسطية بين الدين والدنيا:

وقال أيضاً جل وعلا: **«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّعْتُمْ لِلصَّلَاةِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ فَادْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»** [فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله وأذكروا الله كثيراً] **«لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ»** [الجمعة: ٩٠، ٩١]. ففي الآيتين أمران: أمر ديني «فاسعوا إلى ذكر الله»، وأمر دنيوي: «فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله». والافتنان من منهج الله تعالى. ولا تستقيم الأمور بالجلوس في المسجد وترك العمل، ولا بالعمل المستمر وترك الصلاة.

٣- الوسطية في الإنفاق:

كما نهى جل وعلا عن الغلو في النفقة بالمال، حيث يقول تبارك وتعالى: **«وَأَلْزَمَكَ إِذَا أَنْفَقْتَ أَنْ تُسْرِفَ وَأَنْتُمْ يَسْرُرُونَ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَرَامًا»** [الفرقان: ٦٧]. وقوله تبارك وتعالى: **«وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَمْلُوءَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَمْلُوءًا مَحْشُورًا»** [الإسراء: ٢٩]. وقال تعالى: **«وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا»** [الأعراف: ٣١] والدين كله بين هذين الطرفين.

٤- الوسطية في أداء العبادات:

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم. فلما أخبروا كأنهم تقالوها. فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما

أقوالهم وأفعالهم.
وقال صلى الله عليه وسلم: "إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين" صحيح البخاري عن ابن عباس.
وذكر الشرع أن الغلو في التعبد من سمات طائفة تمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية. وهم الخوارج.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا آتَاهُ ذُو الْخَوِصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ! فَقَالَ: وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ اُعْدِلْ، قَدْ خَبِثَ وَخَسِرَتْ إِنْ لَمْ اَكُنْ اُعْدِلْ. فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبْ عُنُقَهُ! فَقَالَ: دَعَهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَعُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ.
فهؤلاء غلوا في العبادات حتى تعدى كبيرهم على مقام النبوة، ولا يأتي الغلو الا بكل شر.

وللحديث بقية إن شاء الله.

تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَصْلَى اللَّيْلِ أَبَدًا. وَقَالَ آخَرٌ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ. وَقَالَ آخَرٌ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوِّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قَلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمُ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ وَأَصْلِي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوِّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي.» صحيح البخاري. وقوله: من رغب عن سنتي أي عن طريقتي ومنهجي.

فارسول صلى الله عليه وسلم بين أن التشدد في العبادة ليس من سنته؛ فإذا كان التشدد في العبادة ليس من سنته، فمن باب أولى التشدد والمبالغة والغلو في الأمور الأخرى.
ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التنطع وبين أنه طريق هلاك

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلِكُ الْمُتَنَطِّعُونَ. هَلِكُ الْمُتَنَطِّعُونَ. هَلِكُ الْمُتَنَطِّعُونَ.» صحيح البخاري.
والمتنطعون هم المتعمقون المجاوزون الحدود في

مدارس رياض المعرفة الأهلية للبنين بالدمام

تعلم

عن حاجتها لمعلمين «ابتدائي - متوسط، في التخصصات التالية:

ثالث

ثاني

أول

معلم فصل

معلمون

(لغة عربية - رياضيات - علوم - انجليزي - حاسب آلي)
تربية فنية - تربية بدنية - وكلاء ومشرفون تربويون)

ترسل السيرة الذاتية وصورة شخصية حديثة علي الإيميل : aboasem1963@yahoo.com

شركة الاماني لإلحاق العمالة المصرية بالخارج

للتواصل والاستفسار : ٠١١٢٤٤٠٠٢٧٠

Upload by: altawhedmag.com

قصة الصحابي قبيصة بن مخارق

الهلاكي والوقاية من الأربع بلايا



تجزيب الذااعية من القصرن الواهية

الحلقة

(١٦٣)

علي حشيش

اعداد

تواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثة حتى يقف القارئ الكريم على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على السنة الوعاظ والقصاص، وكذلك المتصوفة، حيث جعلوها في اذكارهم واورادهم، وغرهم ان القصة ذكرت في بعض مصادر الحديث الاصلية عند اهل السنة مما يحتم علينا تخرجها وتحقيها.

أولاً: المتن:

رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ يُقَالُ لَهُ قَبِيصَةُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَا جَاءَ بِكَ، وَقَدْ كَبِرْتَ سِنًا، وَرَقَّ عَظْمُكَ؟ » فَقَالَ:

ثانياً: التخریج:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري المعروف بابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ح ١٣٣) قال: حدثنا محمد بن هارون الحضرمي، حدثنا رزق الله بن سلام المروزي، ثنا محمد بن خالد الحبطي، حدثنا عبد الله بن العلاء البصري، عن نافع عبد الله السلمي، عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخ يقال له قبيصة... الحديث.

وأخرجه الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٦٨/١٨)... (٩٤٠) قال: حدثنا جعفر بن محمد بن حرب، حدثنا أبو ظفر عبد السلام بن مظهر، حدثنا نافع بن عبد الله أبو هرمز قال: سمعت عطاء بن أبي رباح، يحدث عن

يا رَسُولَ اللَّهِ، كَبِرْتَ سِنِي، وَدَقَّ عَظْمِي، وَضَعَفْتَ قُوَّتِي، وَاقْتَرَبَ أَجْلِي. فَقَالَ: « أَعَدَّ عَلَيَّ قَوْلُكَ ». فَأَعَادَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَا بَقِيَ حَوْلَكَ شَجَرٌ، وَلَا حَجَرٌ، وَلَا مَدْرٌ، إِلَّا بَكَى رَحْمَةً لِقَوْلِكَ، فَهَاتِ حَاجَتَكَ، فَقَدْ وَجِبَ حَقُّكَ ». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِمَنِي سَنِينًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا تَخْتَرُ عَلَيَّ؛ فَإِنِّي شَيْخٌ نَسِيٌّ. قَالَ: « أَمَا لَدُنْيَاكَ، فَإِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ فَقُلْ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَفِيكَ اللَّهُ مِنْ بَلَايَا أَرْبَعٍ: مِنَ الْجَذَامِ، وَالْجَنُونِ، وَالْعَمَى، وَالْفَالَجِ. فَأَمَّا لِآخِرَتِكَ، فَقُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي مِنْ عِنْدِكَ، وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ، وَأَنْشُرْ عَلَيَّ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ ». فَقَالَهَا الشَّيْخُ، وَعَقَدَ أَصَابِعَهُ الْأَرْبَعِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَعَمَرَ: خَالَكَ هَذَا يَا

قلت: قد يتوهم البعض من هذه العبارة التي اقتصر على ذكر الاسم فقط دون ذكر لصفة الجرح أن نافع أبا هرمز سكتوا عنه ولم يبينوا حاله، ولكن ليس كذلك، فبمجرد إثبات الاسم يدل على الضعف الشديد، فمنهج الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» (ص ٤٣) بينه الإمام البرقاني حيث قال: «طالت محاورتي مع أبي منصور إبراهيم بن الحسين بن حمكاه لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني عفا الله عنى وعنهما في المتروكين من أصحاب الحديث، فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم في هذه الورقات». اهـ.

قلت: بهذا يتبين أن مجرد إثبات اسم نافع أبي هرمز في كتاب الضعفاء والمتروكين أن الأئمة الثلاثة: الإمام البرقاني، والإمام ابن حمكاه والإمام الدارقطني اتفقوا فيما بينهم على ترك نافع أبي هرمز.

٥- قال الإمام الحافظ الذهبي في «الميزان» (٩٠٠٠/٢٣٤/٤): «نافع أبو هرمز ضعفه أحمد وجماعة وكذبه ابن معين، وقال أبو حاتم: متروك ذاهب الحديث، وقال النسائي ليس بثقة».

قلت: بهذا التحقيق يتبين أن نافع أبا هرمز: «ليس بشيء، متروك، ليس بثقة، كذاب، ذاهب الحديث، عامة ما يرويه غير محفوظ».

فائدة:

هذا التحليل مهم جداً لأن الخبر الذي جاءت بهذه القصة أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» كما بينا آنفاً، وبما أن هذا الخبر لم يخرج أصحاب الكتب الستة: إذن هذا الخبر الذي جاءت به القصة يجده الباحث في «مجمع الفوائد» للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي؛ حيث إن الحافظ الهيثمي جمع زوائد مسند الإمام أحمد وأبي يعلى الموصلي، وأبي بكر البزار، ومعجم

ابن عباس قال: قدم قبيصة بن مخارق الهلالي... الحديث.

ثالثاً: التحقيق:

هذه القصة واهية: علتها: نافع بن عبد الله السلمي... وعند التدبر في الإسناد عند الحافظ ابن السني في «عمل اليوم والليلة»، وعند الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» تستبين العلة بما عند الطبراني من الكنية: ليكون الراوي الذي هو علة القصة: نافع بن عبد الله السلمي أبو هرمز.

قال الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٤٨/٧) (١٩٨١/٢٨): «.. نافع السلمي أبو هرمز بصري، سمعت أبا يعلى يقول: سألت يحيى بن معين عن نافع أبي هرمز فقال: «ليس بشيء».

وقال: حدثنا ابن أبي مريم سألت يحيى بن معين عن أبي هرمز فقال: ليس بثقة كذاب. أخبرنا عمران السختياني عن شيبان، عن نافع، أبي هرمز، عن عطاء عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث، وأخرج له أحاديث مناكير، ثم قال: «ولنافع أبي هرمز غير ما ذكرت، وعامة ما يرويه غير محفوظ، والضعف في روايته بين».

قال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٥٧/٣): «نافع أبو هرمز الجمال مولى بني سليمان، روى عن عطاء عن ابن عباس نسخة موضوعة».

قال الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٠٨٧، ٤٥٥/٨): «سألت أبي عن نافع أبي هرمز فقال: متروك الحديث ذاهب الحديث».

وسألت أبا زرعة عن نافع أبي هرمز فقلت: ضعيف الحديث؟ فقال: «كما يكون هو ذاهب».

٤- ذكره الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» (٥٤٩) قال: «نافع أبو هرمز، بصري عن انس وعطاء».

للحافظ المزني وذكر عن الإمام النسائي قال: روى أحاديث منكورة عن أبيه، فلا أدري الريب منه أو من أبيه. اهـ.

ذكره الحافظ الذهبي في «الميزان» (٩٢٧٦/٣١٥/٤)، وكذلك الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (٧٤/١١)، وكذلك الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣١٨/٧٩/٩): العلاء بن هلال: روى عن أبيه هلال بن عمر الباهلي، وروى عنه ابنه هلال بن عمر الرقي كذا في «الجرح والتعديل» (١٩٩٧/٣٦١/٦) للإمام الحافظ ابن أبي حاتم: العلاء بن هلال الرقي روى عنه ابنه هلال بن العلاء، وروى هو عن أبيه، سألت أبي عنه فقال: منكر الحديث ضعيف الحديث، روى أحاديث موضوعة. اهـ..

ونقله الحافظ المزني في «تهذيب الكمال» (٥١٧٤/٥٠٦/١٤)، وأقره ثم نقل أيضا قول الإمام النسائي: «هلال بن العلاء بن هلال روى عن أبيه غير حديث منكر، فلا أدري منه أتى أو من أبيه».

لذلك قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٨٤/٢): «العلاء بن هلال بن عمر بن هلال بن أبي عطية من أهل الرقة، روى عنه ابنه، كان ممن يقلب الأسانيد ويغير الأسماء؛ لا يجوز الاحتجاج به بحال».

٢- هلال بن عمر، قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣١٤/٧٨/٩): «هلال بن عمر الرقي، جد هلال بن العلاء، روى عن أبيه عمر بن هلال، روى عنه ابنه العلاء بن هلال، سألت أبي عنه فقال: ضعيف الحديث». اهـ.

من بدائع الفوائد في دقيق فقه الإسناد:

١- نجد هلال بن العلاء بن هلال بن عمر بن هلال بن أبي عطية أبو عمر الرقي، فهلال بن العلاء روى عن أبيه العلاء، والعلاء روى عن أبيه هلال، وهلال روى عن أبيه عمر بن هلال؛ فهي من رواية الأب عن أبيه عن جده عن جد أبيه.

٢- ولقد تبين من هذا التحليل والتحقيق:

الطبراني الثلاثة على الكتب الستة، ثم يقوم الحافظ الهيثمي بعزو الخبر إلى هذه الكتب ثم يحققه بعبارة مختصرة بذكر الراوي، وإذا كان مجروحاً غالب عباراته يقول: «ضعيف».

وبالتطبيق على الخبر الذي جاءت به هذه القصة نجد أن الحافظ الهيثمي أورد هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة في «مجمع الزوائد» (٦٥/١٠) وقال: «رواه الطبراني وفيه نافع أبو هرمز وهو ضعيف». اهـ.

قلت: قد يتوهم البعض أنه ضعف يسير ينجبر بكثرة الطرق، وكم زلت بسببه أقدام وضلت فيه أفهام!!

والأمر ليس كذلك، وما قدمناه أنفاً من أقوال جهابذة الجرح والتعديل في نافع أبي هرمز برهان على ذلك.

حيث إن نافعاً أبا هرمز: ليس بشيء، متروك، ليس بثقة، كذاب، ذاهب الحديث كما هو مقرر عند علماء هذا الفن لا يصلح للمتابعات ولا الشواهد، بل يزيد الخبر وهنا على وهن.

وهذا البيان مهم جداً، حيث إن لهذا الخبر طرقاً، ولولا أن بينا حال نافع أبي هرمز لتوهم من لا دراية له أنه متابع أو له شاهد.

رابعاً: طريق آخر للقصة:

أخرجه الحافظ ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ح١٣٤) قال: الطبراني عبد الرحمن بن حمدان، حدثنا هلال بن العلاء، قال: ثنا أبي، قال: ثنا هلال بن عمر، ثنا الخليل بن مرة، ثنا محمد بن الفضل، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه قال: جاء النبي رجل من أحواله يقال له: قبيصة، فسلم على النبي صلى الله عليه، فرد عليه السلام، ورحب به... القصة.

التحقيق

١- هلال بن العلاء: هو هلال بن العلاء بن هلال بن عمر بن هلال بن أبي عطية، أبو عمر الرقي، روى عن أبيه العلاء بن هلال الباهلي كذا في «تهذيب الكمال» (٧٢٢٣/٣٢٤/...)

المشاهير، كثير الرواية عن المجاهيل. اهـ.
وعليه فالطريق تالف، مسلسل بالضعفاء
الذين لا تحل الرواية عنهم، فهذا الطريق يزيد
القصة وهنا على وهن، إذا أضيف للطريق
الذي فيه المتروك الكذب ذاهب الحديث.

طريق ثالث تالف

أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٦٠/٥)
(ح ٢٠٦٢١) قال: يزيد بن هارون عن الحسن
عن أبي كريمة حدثني رجل من أهل البصرة
عن قبيصة بن المخارق قال: أتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا قبيصة..
القصة.

خامساً: التحقيق

الإسناد الذي جاءت به القصة لا يصح،
قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال»
(١٨١٢/٥١٦/٢١): خزيمة روى عن رجل
من أهل البصرة عن قبيصة بن المخارق،
وهذا سند مبهم، والمبهم لم يصرح باسمه
في الحديث، ورواية المبهم مردودة، وسبب
رد روايته جهالة عينه؛ لأن من أبهم اسمه
جُهِلت وجُهِلت عدالته؛ فلا تقبل روايته.
لذلك أصبح الحديث المبهم خاص هو
«المبهم» والحديث المبهم هو الحديث الذي
فيه راو لم يُصرح باسمه، قال البيهقي في
«منظومته»:

ومبهم ما فيه راو لم يسمَّ
فالطريق المظلم لأزيد القصة إلا وهنا على
وهن، ولا يصلح للمتابعات الشواهد كما
هو مقرر عند أصحاب الصناعة الحديثية.
سادساً: قبيصة بن مخارق الهلالي
صحابي

حتى لا يتقول علينا متقول في صحبة
قبيصة: حيث جعلت هذه القصة واهية
قصة الصحابي قبيصة بن المخارق الهلالي
والوقاية من الأربع بلايا، فالقصة مفتراة
لكن الصحبة ثابتة كما هو مبين.
هذا ما وفقني الله إليه، والحمد لله رب
العالمين.

أ- أن رواية هلال بن العلاء عن أبيه العلاء بن
هلال منكرة.

ب- والعلاء بن هلال منكر الحديث يقلب
الأسانيد، ويغير الأسماء؛ لا يجوز الاحتجاج
به.

ج- وهلال بن عمر الرقي جد هلال بن العلاء
ضعيف الحديث.

وأقر هذا الحافظ الذهبي في «الميزان»
(٩٢٧٤/٣١٥/٤).

فهذه السلسلة الثالثة المنكرة الحديث من
الأبناء عن الآباء عن الأجداد.

وهناك علة رابعة في هذا الإسناد: الخليل
بن مرة الضبعي البصري نزيل الرقة،
روى عن محمد بن الفضل بن عطية،
وروى عنه هلال بن عمر الباهلي الرقي
جد هلال بن العلاء، كذا في «تهذيب
الكمال» (١٧١٤/٥١٤/٥)، وذكر الحافظ
المزي عن البخاري قال: الخليل بن مرة
منكر الحديث، وأقره الحافظ الذهبي في
«الميزان» (٢٥٧٢/١٦٧/١).

وقال ابن حجر في «التهذيب» (١٤٦/٣) قال
البخاري: الخليل بن مرة منكر الحديث، وفي
موضع آخر قال: لا يصح حديثه، ثم قال: ذكره
الساجي، والعقيلي وابن الجارود، والبرقي،
وابن السكن في الضعفاء. اهـ.

تنبيه:

أورد الحافظ السيوطي في «التدريب» (٣٤٩/١)
ما يبين معنى مصطلح البخاري إذا قال في
الراوي: (منكر الحديث)؛ حيث قال:

«تنبيهات: الأول: البخاري يطلق (فيه نظر)
(وسكتوا عنه) فيمن تركوا حديثه، ويطلق
(منكر الحديث) على من لا تحل الرواية عنه».

هذا يدل مصطلح البخاري: «منكر الحديث
على الضعف الشديد».

وقال الحافظ ابن حبان في «المجروحين»
(٢٨٢/١) الخليل بن مرة شيخ يروي عن
جماعة من البصريين والمدنيين، منكر الحديث

دعاوى التأويل المنسوبة لبعض سلف الأمة.. تفنيدها والرد عليها

أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي

إعداد/

الأستاذ بجامعة الأزهر

كما قال عنه ابن منده في الرد على الجهمية ص ٤٨: «ليس هو بالقوي في سعيد بن جبير».. وقال الذهبي في العلو ص ١١٧: «قال ابن عباس: كرسيه علمه، فهذا الذي جاء من طريق جعفر الأحمر، لين، وقال ابن الأنباري: إنما يروي هذا بإسناد مطعون فيه».

ب- كما استدل البعض على صحة تأويل مجيء الرب بمجيء أمره وقضائه: بما جاء في ذلك عن ابن عباس والحسن البصري، وقد نقله النسفي وغيره في تفسيره لقول الله تعالى: (وجاء ربك والملك صفا صفا..) (الفجر/٢٢): وليس لهذا أصل ولا إسناد، لا عن ابن عباس ولا عن الحسن، ولا ذكره أحد من المنصفين من أهل الرواية. [ينظر لمزيد من التفصيل (الأشاعرة في ميزان أهل السنة) لابن قزاز ص ٥٥٣: ٥٥٩].

ج- واستدل البعض على تأويل العين لله تعالى بما ورد عنه في تفسير قول الله تعالى: (واصنع الفلك بأعيننا..) (هود/٣٧). قال: «بمراى منا».. وجوابه: أنه ليس بثابت عنه، والثابت عنه بإسناد لا بأس به: «بعين الله».. وأورد عطاء عنه في الآية، قال: أشار بيده إلى عينيه»، وهذا صريح منه في إثبات العين لله تعالى، وهو المعروف عن السلف، فقد صح مثله عن أبي عمران الجوني وقتادة ومطرف وخالد بن معدان وأبي نهيك وغيرهم.. ونقل أبو الحسن الأشعري في (مقالات الإسلاميين) و(الإبانة) و(رسالة إلى أهل الثغر)، إجماع أهل السنة على إثبات العين لله تعالى. وعليه فمن ذهب من أئمة السنة إلى تفسير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فكثير من المتعصبين من أهل الكلام في زماننا كما هو الحال فيما سبقنا من أزمنة، يحتج ببعض آثار وردت ونُسبت لأئمة السلف بطرق مشكوك فيها، بغية أن يجدوا مبرراً لما يدينون به من تأويلات باطلة ما أنزل الله بها من سلطان، ذكرها أهل الاعتزال وأصحاب جهم وتابعوهم فيها، مع أنها في مجملها تأويلات بلا مستند من كتاب أو سنة أو أثر صحيح..

ومن المهم أن نورد بعضاً من هذه الآثار، لتفنيدها من جانب، ولنمحص صحيح ما كان عليه سلف الأمة من جانب آخر.. ونذكر من ذلك:

١- تأويلات ابن عباس لعناني الصفات:

أ- فقد استدل البعض على صحة تأويل الكرسي الوارد ذكره في قول الله تعالى: (وسع كرسيه السموات والأرض..) (البقرة/٢٥٥) بما ورد عن ابن عباس من أنه: العلم، سعياً إلى نفي علوه تعالى واستوائه على عرشه.. وروى ذلك عنه ابن جرير وابن منده في الرد على الجهمية ص ٤٧ والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٢١٠.. وهذا - عند التحقيق - خبر لم يصح عن ابن عباس؛ لعل أهمها:

أن مداره على جعفر بن أبي المغيرة، وفيه لين.. قال عنه الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب ص ٢٠: «صدوق بهم»، ومثله لا يقبل تفرده بمثل هذا عند المحدثين، لاسيما عند الأكثرين كسعيد بن جبير.. وقد خالف فيما رواه هنا من هو أوثق منه في سعيد بن جبير، فقد روى مسلم البطين - وهو أوثق الناس في سعيد بن جبير - عن ابن عباس فيما أورده الذهبي في العلو وقال الألباني في مختصره ص ٧٥ صحيح أنه قال: (كرسيه: موضع قدميه، والعرش لا يقدر قدره).

«الوجه عبارة عنه».. كما عضدوا مذهبيهم بأن مجاهداً والضحاك والشافعي أولوا صفة (الوجه) في قوله تعالى: (فأينما تولوا فثم وجه الله..) (البقرة/ ١١٥) بـ «قبلة الله» أو على معنى: «فثم الوجه الذي وجهكم الله إليه».

وهذا جوابه: أن (الوجه) في الآية الأخيرة: مما اختلف السلف في كونها من آيات الصفات، وأن أكثرهم على أنها ليست من آياته ففسروها بما ذكر، لاسيما أن (الوجه) قد يُراد به في لغة العرب: (الجهة)، وعليه فإن مثل هذا لا يسمى تأويلاً، إنما التأويل: صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف.

أما هذا الذي نقله في الآية الأولى عن ابن عباس غير واحد من المفسرين: فليس له أصل، والثابت عنه إثبات الوجه لله تعالى، فقد قال رضي الله عنه - بإسناد لا بأس به - في قوله تعالى: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة..) (يونس/ ٢٦): «الزيادة: النظر إلى وجه الله».. كما روى الدارقطني في كتاب (الرؤية) عن الضحاك قال: «الزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل»، وقال اللالكائي في (شرح أصول السنة ٣/ ٤٥٤ - ٤٦٣): «سباق ما فسر من الآيات في كتاب الله: على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة بابصارهم.. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه من تفسيره، أنه: (النظر إلى الله عز وجل) وروي ذلك من الصحابة من غير ابن عباس: أبو بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وأبو موسى الأشعري وابن مسعود.. ومن التابعين: عبد الرحمن بن أبي ليلى وسعيد بن المسيب، والحسن وعكرمة وعامر بن سعد البجلي، وأبو إسحاق السبيعي ومجاهد وعبد الرحمن بن سابط، وقتادة والضحاك وأبو سنان».

ويؤكد هذا أن مجاهداً وجميع من نقل عنهم تفسير الآية من سورة الرحمن، لم ينف صفة الوجه عن الله.. وكذا فعل البخاري عندما عقد باباً في (كتاب التوحيد) من صحيحه، في إثبات (الوجه) لله مستدلاً بالآية ذاتها، وساق من الأحاديث ما يوضح أن تفسير (الوجه) بـ (الذات) لا ينافي إثبات صفة الوجه، وبما يعني: أن الذي يُنكر في هذا المقام، هو: تعطيل صفة الوجه لله تعالى، أما تفسير هذه الصفة بـ (الذات) فلا غضاضة فيه، فالشيء قد يُعبر عنه ببعض صفاته.. وعليه فقوله: (إلا وجهه) المراد به: ذاته تعالى المتصفة بالصفات

هذه الصفة بلازمها - باعتبار أن نوحاً لم يكن في نفس عين الله لكون ذاته تعالى ليست محلاً للمخلوقات كما هو معلوم لدى كل عاقل - ولم ينكر ثبوتها لله تعالى، فإن ذلك لا يُعد في حقه تأويلاً؛ لكون ثبوت لازم فرع من ثبوت الملزوم. [ينظر السابق ص ٥٥٩: ٥٦١].

د- واستدل البعض كذلك على تأويل (الأيد) في قول الله تعالى: (والسماء بنيانها بأيدي..) (الذاريات/ ٤٧) بالقوة والقدرة: بما ورد من ذلك عن ابن عباس أيضاً كما في تفسير القرطبي وغيره.. والجواب: أن هذا التفسير ليس تأويلاً لصفة لأن لفظ (الأيد) هنا ليس جمع (اليد)، بل هو مصدر: (أيد يئيد أيداً) إذا اشتد وقوي، يقال: أيدته، أي: قويته، و(التأييد): مصدر.. قال تعالى: (إذ أيدتك بروح القدس..) (المائدة/ ١١٠)، وقرئ: (إذ أيدتك) أي: قويتك، وعليه قوله تعالى: (واذكر عبدنا داود ذا الأيد..) (ص/ ١٧)، أي: ذا القوة.. كذا أفاده ابن منظور في لسان العرب، مادة: (أيد).

ومما جاء عن أبي الحسن الأشعري في آية الذاريات، قوله في الإبانة ص ١٠٨ في رد ذلك: «وقد اعتل معتل بقول الله تعالى: (والسماء بنيانها بأيدي)، قالوا: (الأيد): القوة، فوجب أن يكون معنى قوله تعالى: (لما خلقت بيدي..) (ص/ ٧٥)، بقدرتي.. قيل له: هذا التأويل فاسد من وجوه: أحدها: أن (الأيد) ليس بجمع لليد؛ لأن جمع (يد): أيدي، وجمع (اليد) التي هي نعمة: (أيادي)، وإنما قال تعالى: (لما خلقت بيدي)، فبطل بذلك أن يكون معنى قوله: (بيدي)، هو معنى قوله: (بنيانها بأيدي)».

وقال ابن خزيمة في التوحيد ص ٨٧: «وزعم بعض الجهمية: أن معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (خلق الله آدم بيديه)، أي: بقوته، فزعم أن اليد هي القوة، وهذا من التبديل أيضاً. وهو جهل بلغة العرب، والقوة إنما تسمى (الأيد) بلغة العرب، فمن لا يفرق بين (اليد) و(الأيد)، فهو إلى التعليم والتسليم إلى الكتابين أحوج منه إلى التروؤس والمناظرة» اهـ.

٢- تأويلاته ومجاهد والضحاك والشافعي والبخاري لصفة (الوجه)،

واستدل البعض على صحة تأويل (الوجه) في قول الله تعالى: (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام..) (الرحمن/ ٢٧) بـ (الذات)، وبالتالي تعطيل هذه الصفة: بما ورد عن ابن عباس، قال:

والقوله، ولا في شيء من كتب أصحاب مالك التي تنقل أقواله واختياراته كالمدونة وغيرها، ولا في الكتب التي تحكي عقيدة مالك كالرسالة لابن أبي زيد القيرواني وغيرها.

ولهذا الأثر طريق آخر ذكره ابن عبد البر في التمهيد ١٤٣/٧ من طريق محمد بن علي الجبلي عن جامع بن سودة عن مطرف عن مالك أنه سئل عن حديث النزول فقال: «يتنزل أمره». وهذا أيضا إسناده مظلم، فإن محمد بن علي الجبلي قال عنه الخطيب في تاريخ بغداد ١٠١/٣: «قيل: إنه كان رافضيا شديدا الرفض». وأما جامع بن سودة فمجهول، وقد روى له الدارقطني في غرائب مالك حديثا ثم قال: «الحديث باطل، وجامع ضعيف» (وقد ذكر هذا: الذهبي في الميزان ٣٨٧/١ وابن حجر في اللسان ٩٣/٢)، وقال عنه ابن الجوزي في الموضوعات بعد أن روى له حديث (الجمع بين الزوجين): «هذا موضوع، وجامع مجهول».

على أن هذين الأثرين مخالفان للمعروف المشهور عن الإمام مالك من إمرار الصفات عن ظاهرها، وعدم التعرض له بتأويل ولا غيره. كذا بما تقضي به عبارته المحفوظة عن مثل صفة النزول: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول)، وكما تقضي به عبارته كذلك التي في رواية الوليد بن مسلم، قال: «سالت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد، عن هذه الأحاديث التي فيها (الرؤية) فقالوا: (أمرؤها كما جاءت بلا كيف)» [وينظر في شأن ذلك: الأجرى في الشريعة ص ٣٢٧، وابن بطة في الإبانة ٢٤١/٣، والدارقطني في الصفات ص ١٧٢، والصابوني في اعتقاد أهل الحديث ص ٦٨، واللالكائي في أصول السنة ٥٢٧/٣، وابن عبد البر في الاستذكار ٥١٣/٢، والبيهقي في سننه ٤/٣، وفي الأسماء والصفات ٥٦٩، وفي الاعتقاد ١٢٣، وابن تيمية في مجموع الفتاوى ٣٩/٥].

٥- دعوى تأويل الإمام أحمد مجيء الله وأتياه

بمجيء ثوابه وأتياه أمره:

وقد احتج من تذرع بذلك بما جاء في البداية والنهاية ص ٢٣٧ فيما نصه: «روى البيهقي عن الحاكم عن عمرو بن السماك عن حنبل: أن أحمد بن حنبل تأول قول الله تعالى: (وجاء ربك..) (الفجر/٢٢)، أنه جاء ثوابه، ثم قال البيهقي: وهذا إسناده لا غبار عليه... وبما نقله ابن الجوزي عن

العلی ومنها الوجه، وهذا ظاهر لا خفاء فيه؛ إذ لا يغني عنه شيء تعالى عن ذلك، وإنما عبر الله عن ذلك بذكر صفة من صفاته، وهي: وجهه تعالى.

قال الحافظ ابن كثير - في تفسيره لآية الرحمن بعد أن ساق قول مجاهد بأن المراد من الآية «إلا ما أريد به وجهه»: «وهذا القول، لا ينافي القول الأول - يعني: تفسيره (الوجه) ب (الذات) - فإن هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد بها وجه الله من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة، والقول الأول مقتضاه: أن كل الذوات فانية وهالكة إلا ذاته تعالى، فإنه الأول والآخر، الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء».

٢- دعوى تأويل سفيان الثوري للاستواء:

فقد جاء عن بعض من يتذرعون لإساعة صرف أي الصفات عن مفهوماتها ومدلولها المعروف في لغة العرب، جواز تأويل الاستواء على العرش ب (قصد أمره)، وفي قوله تعالى: (ثم استوى إلى السماء..) (البقرة/٢٩) بالقصد إليها.. بأن ذلك ورد في مرقاة المصابيح ١٣٧/٢ عن سفيان الثوري وهو حجة.. وهذا الإدعاء يرد عليه أن الملا علي القاري ذكره جزافا بلا إسناد ولا عزو، ولا يعرف هذا التأويل عن الثوري، بل المعروف المتواتر عنه قوله في جميع الصفات: (أمرؤها كما جاءت بلا كيف).. ولا يعرف عن أحد من السلف قط أنه أول الاستواء لله تعالى بغير (العلو والارتفاع)، سواء ما عُدِّي منه ب (على)، أو ما عُدِّي منه ب (إلى).

٤- دعوى تأويل الإمام مالك لصفة النزول:

وذلك فيما لم يصح نسبته إليه، فقد نسب إليه أنه سئل عن نزول الرب، فقال: «ينزل أمره كل سحر، فأما هو عز وجل فإنه دائم لا يزول ولا ينتقل سبحانه لا إله إلا هو».

والجواب: أن هذا الأثر لا يصح عن الإمام مالك؛ لكونه من رواية حبيب كاتب مالك، وهو كذاب.. قال أبو داود (كما في ميزان الاعتدال ٤٥٢/١): «(كان من أكذب الناس)، وقال: (أحاديثه كلها موضوعة)، وقال ابن حبان: (يروى الموضوعات عن الثقات)».. وقال ابن عدي (كما في الكامل في ضعفاء الرجال ٤١٤/٢): «وعامة حديث حبيب موضوع المتن مقلوب الإسناد، ولا يحتشم حبيب في وضع الحديث على الثقات، وأمره بين في الكذابين»..

وحسبك بهذا الأثر نكارة أنه لم يُذكر في شيء من كتب السنة المعتمدة بمعتقدات السلف

تروي أن الله ينزل إلى سماء الدنيا وأن الله يرى، وأن الله يضع قدمه، وما أشبه هذه الأحاديث.. فقال أبو عبد الله: (نؤمن بها ونصدق بها، ولا نرد منها شيئاً، ونعلم أن ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم حق إذا كانت أسانيد صحاح، ولا نرد على الله قوله، ولا يوصف بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)، إلى غير ذلك مما يطول ذكره. [وينظر في شأنه: الإبانة لابن بطة ٢٤٢/٣، وأصول السنة ٤٣١/١، وإبطال التاويلات لأبي يعلى ٢٦٠/١، وغيرها].

٦- دعوى تاويل البخاري لصفة الضحك، وهي دعوى مشهورة يفتخ بها كثير ادعاة التاويل زاعمين ورود ذلك عنه في صحيح البخاري فيما نقله عنه البيهقي في الأسماء والصفات.. وجوابه:

١- أن هذا لم يثبت عن البخاري البتة، لا في الصحيح ولا في غيره.. والبيهقي إنما علقه عن البخاري ولم يسنده، فقال: «أما الضحك المذكور في الخبر فقد روى الفربري عن محمد بن إسماعيل البخاري أنه قال: (معنى الضحك فيه: الرحمة)»، ولعله أخذ عن الخطابي في (أعلام السنن ١٣٦٧/٢) حيث قال بعد حديث الأنصاري وأمراته - وفيه: (لقد عجب الله أو ضحك من فلان وفلانة): «قال أبو عبد الله: معنى الضحك: الرحمة، وهذا من رواية الفربري، ليس عن ابن مقل.. قال ابن حجر في الفتح ٥٠١/٨ معلقاً: «قلت: ولم أر ذلك في النسخ التي وقعت لنا من البخاري».

ب- ثم إن هذا معارض للمعروف من عقيدة البخاري، من كونه على طريقة شيوخه كالإمام أحمد وإسحاق وأبي عبيد وغيرهم من أئمة السلف، يثبت الصفات لله تعالى كما جاءت على ظاهرها لا بتعرض لها بتاويل ولا غيره.

وهذا كله يؤكد أن السلف مجمعون على بطلان التاويل الصارف للأية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف، والمنع منه في صفات الله تعالى، وأن الواجب فيها إجراؤها على ظاهرها مع نفي التشبيه والتجسيم والتكليف والتفويض عنها، كما يعني ما ذكرنا: بطلان دعاوى المؤولين والمتعصبين لما عليه متأخرو الأشاعرة بالمخالفة لما كان عليه النبي وصحابته والتابعين لهم بإحسان.

نسأل الله الهداية والتوفيق، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

القاضي أبي يعلى عن أحمد في قوله تعالى: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام..) (البقرة/٢١٠)، أنه قال: «المراد به قدرته وأمره..» وجواب ذلك:

١- أن الرواية الأولى التي رواها حنبل، إنما قالها الإمام أحمد - على فرض ثبوتها - في مناظرته للجهمية في القرآن، وعنهما قال ابن تيمية لما ذكر كلام ابن الجوزي وما نقله عن القاضي أبي يعلى.

«قلت: هذا الذي ذكره القاضي وغيره: أن حنبلاً نقله عن أحمد في كتاب المحنة، أنه قال في المناظرة لهم يوم المحنة لما احتجوا عليه بقوله عليه السلام: (تجيء البقرة وآل عمران كأنهما غيايتان) قالوا: والمجيء لا يكون إلا مخلوق، فعارضهم أحمد بقوله: (وجاء ربك..) (الفجر/٢٢) أو (أو يأتي ربك..) (الأنعام/١٥٨)، وقال: المراد بقوله تجيء البقرة وآل عمران: ثوابهما، كما في قوله: (وجاء ربك) أمره وقدرته». [مجموع الفتاوى ٤٠٥/١٦]. وكانه يقول لهم: يحمل مجيء السورتين على مجيء الثواب كما حملتم مجيء الله على مجيء أمره، وهذا يدل على أن الإمام أحمد إنما قاله على سبيل المعارضة وإبطال حجة الخصم من كلامه وما يعتقده في نظير ما احتجوا به عليه، لا أنه يعتقد ذلك.. وهذا من باب التنزل وعلى تقدير: (الستم تقولون ذلك؟!)، فإن الجهمية كانت تتاول مجيئه سبحانه وإتيانه بمجيء أمره، بحجة أن ذلك لا يكون إلا لمخلوق، فعارضهم بهذا الأصل فقال: فكذلك وصف الله كلامه وهو القرآن بالمجيء في الحديث، وأراد: أن هذا مثل وصف نفسه بذلك، فلا يدل على أن كلامه مخلوق، بل يحمل القرآن - صفة كلامه سبحانه - على مجيء ثوابه كما حملتم مجيئه تعالى على مجيء أمره وقدرته، والمعارضة لا تستلزم اعتقاد المعارض صحة ما عارض به.

ب- وجوابه أيضاً: أن هذا مخالف للمتواتر المشهور عن الإمام أحمد في هذا الباب من وجوب إمرار الصفات على ظاهرها، ومنع التعرض لها بتاويل أو غيره، بل إن حنبلاً بن إسحاق نفسه نقل عنه ترك التاويل والمنع منه مطلقاً، فقال: «قلت لأبي عبد الله: ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا؟ قال: نعم، قلت: نزوله يعلمه أم بماذا؟ قال: (أسكت عن هذا)، وغضب غضباً شديداً، وقال: (مالك ولهذا؟ أمض الحديث كما روي بلا كيف)..»

وقال حنبل: «سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي

الدعاء .. قرع لأبواب السماء

الحلقة الأولى

أحمد صلاح

إعداد

صلى الله عليه وسلم: «إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا». [صحيح أبي داود للألباني، حديث: ١٣٢٠]. وعليه فإن الدعاء إذا صدر عن قلب سليم عامر بالتوحيد، خال من الشرك، وصدر عن نفس صافية وجوارح خاشعة، كان ذلك ادعى للقبول وعدم الرد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب لاه». [صحيح الترمذي للألباني، حديث: ٢٧٦٦].

آداب الدعاء وأحكامه

للدعاء آداب وأحكام ينبغي للداعي أن يتعلمها ويتأدب بها، فإن ذلك ادعى لقبول دعائه وإجابة طلبه ومناجاته، منها:

١- الإخلاص في الدعاء:

إذ الدعاء عبادة لا تُصرف إلا إلى الله، فلا يلتفت قلب العبد في دعائه إلا للرب تبارك وتعالى فكل ما سواه لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً، وفي قوله تعالى: **«كَذَٰلِكَ نَجْجِبُ لَكَ الْيُسْرَىٰ»** [غافر: ٦٥]، يقول ابن حجر: لقد دل قوله تعالى على أن الإجابة مشترطة بالإخلاص.

٢- الناكل والمشرب الحلال:

قال إبراهيم بن أدهم: أطب مطعمك ولا عليك أن لا تقوم بالليل وتصوم بالنهار. [حلية الأولياء].

فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس! إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: «يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم»، وقال: «يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم»، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه من حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام فإني يستجاب لذلك.

بل هناك تلازم بين أكل الحلال وحلاوة المناجاة لله تعالى، فقد قرّر ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: «يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً...»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله واله وصحبه والتابعين، وبعد:

فإن الدعاء لرب الأرض والسماء له منزلة عظيمة في الشريعة، فهو أعلى مراتب العبادة، بل هو العبادة كلها، فقد روى أبو داود في سننه عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: وقال ربكم ادعوني أستجب لكم [سنن أبي داود ١٤٨١ وصححه الألباني].

فالعبادة دائرة بين نوعي العبادة (دعاء عبادة، ودعاء مسألة)، فدعاء العبادة هو الذي يتضمن الثناء على الله بما هو أهله مصحوباً برغبة ورهبة، بخوف ورجاء.

ودعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي، من جلب نفع ودفع ضرر، وكلاهما لا يكون إلا لله الذي بيده الأمر والتدبير.

والدعاء سلوى المحزونين، وباب المظلومين، ونجوى المتقين، لا سيما في زمان الفتن واشتباة الأحوال التي لا ينجي منها إلا دعاء كدعاء الغريق الذي يعلم أن لا مُنقذ له إلا الله، فالدعاء من أسباب كشف الغمة وتفريج الكرب، فهو الباب الأعظم الذي لا يُغلق والسهم الذي يُصيب ولا يخيب، وكان سيد العالمين صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته بدعاء جامع ماتع: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم». [رواه مسلم ٧٧٠ عن عائشة رضي الله عنها].

وفي هذا دليل على استحباب الدعاء والضراعة والاستعاذة من الفتن، ولو علم المرء أنه مستمسك فيها بالحق؛ لأن القلب بيد الرب يصرفه ويقبله، فاللهم ثبت قلوبنا إلى طاعتك.

لذلك أرشدنا الشرع الحنيف إلى أهمية الدعاء لرب الأرض والسماء، والمحافظة على هذه الشعيرة المباركة، فقال تعالى: **«وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»** [غافر: ٦٠]، **«ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً»** [الأعراف: ٥٥]. **«وَسَعَلُوا اللَّهَ مِنْ قَسْبِهِ»** [النساء: ٣٢]، وعن

سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله

أن أكل الحلال عونٌ على العمل.

وقد أشار ابن الجوزي في «صيد الخاطر» إلى هذا التلازم فقال: وربما رأى العاصي سلامة بدنه وماله، فظن أن لا عقوبة، وغفلته عما عُوقب به عقوبة، وربما كان العقاب العاجل معنوياً، كما قال بعض أحبار بني إسرائيل: يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني!! فقل له: كم أعاقبك ولا تدري، أليس قد حرمتك حلاوة مناجاتي؟! فاكل الحلال وشربه ولبسه والتغذي به سببٌ موجبٌ لإجابة الدعاء، مع أنه من أصعب الأمور في هذا الزمان التي عمت فيه البلوى باكل الحرام، فهذا الزمان الذي أخبر عنه صلى الله عليه وسلم، كما في البخاري.

٣- إظهار الافتقار إلى الله والانطراح بين يديه سبحانه

يقول شيخ الإسلام في «العبودية»: وكلما ازداد الشخص عبودية وافتقاراً إلى الله، ازداد كماله وعلت درجته.

ومن أعرض عن الدعاء والافتقار والإلحاح على الله، فإنه يشتغل بمسألة الناس، فيقع في مفسدات ثلاثة: مفسدة الافتقار إلى غير الله، ومفسدة إيذاء المسئول، ومفسدة ذل غير الله تعالى، فليس بين العبد وبين ربه طريق أقرب إليه من الافتقار، ومن لم يفتقر إلى الله افتقر إلى غيره ولا بد.

٤- ألا يتكلف السجج في الدعاء

فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع، والتكلف في الدعاء لا يناسبه، فقد روى أبو داود في سننه أن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه سمع ابنه يقول: اللهم إني أسالك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: أي بني سل الله الجنة وتعوذ به من النار، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء. [سنن أبي داود ٩٦ وصححه الألباني].

قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»: والاعتداء في الدعاء على وجوه: منها: الجهر الكثير والصياح، ومنها أن يدعو في أن تكون له منزلة نبي، أو يدعو في محال، ومنها أن يدعو بما ليس في الكتاب والسنة، فيتخير الفاظاً مسججة قد وجدها في كراريس لا أصل لها، فيجعلها شعاره ويترك ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء. روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وانظر السجج من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب.

ولكن المنهي عنه من السجج (وهو الكلام الذي

يكون على قافية واحدة) هو التكلف فيه؛ لأنه ينافي الخشوع، أما إذا جاء على اللسان من غير تكلف ولا تنطع فلا بأس به؛ لورود الأدعية المسجوجة الكثيرة من كلامه صلى الله عليه وسلم، كحديث: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشيع، ومن دعوة لا يستجاب لها». [رواه مسلم ٢٧٢٢ عن زيد بن أرقم رضي الله عنه].

وما رواه أبو داود في سننه عن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو: رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبت حجتي واهد قلبي، وسد لساني واسل سخيمة قلبي. [سنن أبي داود ١٥١٢ وصححه الألباني].

والسل: هو نزع الشيء بلطف ولين، والسخيمة: نوع من أمراض القلب يشبه الغل والحقد.

٥- أن يدعو الله وهو موقن بالإجابة على ما يعلم من نفسه من ذنوب وتقصير:

فمن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: قد دعوت فلم يستجب لي. [صحيح البخاري ٦٣٤٠].

فإذا دعوت فاسأل الله كثيراً؛ فإنك تدعو كريماً. وذكر الحافظ في «الفتح» عن سفیان بن عيينة رحمه الله قال: لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه، فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس لعنه الله: «قال رب فانظرنى إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين».

ولكن ربما يكون تأخير الإجابة امتحاناً لك يا عبد الله، واعلم أن دعاء المؤمن لا يرد، ولكن قد يكون الأولى له تأخير الإجابة أو يعوض بما هو أولى له عاجلاً أو أجلاً، فقد روى أحمد في مسنده بسند صحيح من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تُعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذن نكثر، قال: الله أكثر. [صحيح مسلم ٧٩].

وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يقل أحدكم إذا دعا: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة؛ فإنه لا مستكره له. [صحيح البخاري ٦٣٣٨].

٦- أن يكون الدعاء بصوت بين المخافتة والجهر:

فقد روى البخاري في صحيحه (٤٢٠٢): عن أبي موسى قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أيها الناس ازيغوا على

أَنْفُسَكُمْ إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصْمَ وَلَا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ.
وفي رواية أبي داود (١٥٢٨): إِنْ الَّذِي تَدْعُونَهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَعْنَاقِكُمْ رَكَابِكُمْ.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت في قوله تعالى: «وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافُتُ بِهَا» أي: بدعائك.

وقد أثنى الله تعالى على عبده ونبهه زكريا عليه السلام حيث قال: «إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا»، فهذا ادعى لخشوع القلب واستشعار القرب من الله تعالى، وهي غاية مقصودة في الدعاء، وهو أبلغ في الإخلاص والبعد عن الرياء.

٧- أن يتوسل الداعي إلى الله بالأعمال الصالحة التي عملها:

كان يقول الداعي: اللهم بإيماني بك ومحبتي لك ولرسولك ولأوليائك اغفر لي وارحمني واعف عني، وكذلك بان يذكر الداعي عملاً صالحاً قام به لوجه الله تعالى كصدقة وصلية، وصلاة وصيام، وذكر وتلاوة قرآن، وغير ذلك.

وبدل على هذا قوله تعالى: «الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَفِنَا عَذَابَ النَّارِ» [آل عمران: ١٦]، و «رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ» [آل عمران: ١٩٣].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «انْطَلِقْ ثَلَاثَةَ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى أَوْوَا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدِرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنَجِّبُكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ» [صحيح البخاري ٢٢٧٢].
وفي رواية لمسلم: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ انظُرُوا أَعْمَالًا عَمَلْتُمُوهَا صَالِحَةٌ لِلَّهِ فَادْعُوا اللَّهَ بِهَا لَعَلَّهَا يُفَرِّجُهَا عَنْكُمْ. [صحيح مسلم ٢٧٤٣].

٨- أن يُقدم العبد بين يدي دعائه الاعتراف بالذنب والندم عليه والاستغفار منه:

وفي الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ». [رواه البخاري ٢٦٦١].

ومن الجدير بالإشارة إليه أن مجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة إلا إذا اقترن ذلك الاعتراف بالندم على الماضي من الذنب، والعزم على تركه في المستقبل؛ إذ الاستغفار مع الإصرار توبة الكذابين، فالتوبة والإصرار ضدان لا يجتمعان.

لذلك تعاضدت الآيات والأحاديث على فضل تقديم الاعتراف بالذنب بين يدي الدعاء، ومن ذلك ما ثبت عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَنِي دَعَاءَ أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي قَالَ قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاعْفُرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. [صحيح البخاري ٨٣٤].

وذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» عقب هذا الحديث، قوله تعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ» [آل عمران: ١٣٥].

قال القرطبي في تفسيره: وكل دعاء ضم هذا المعنى أو لفظه فهو استغفار.

٩- أن يكرر العبد الدعاء ثلاثاً، مع الإلحاح فيه وقت الشدة والرخاء:

إذ الإلحاح افتقار إلى الله، واستسلام له تعالى، والله يحب ذلك، فعلى المسلم أن يلح في سؤاله لربه ويظهر حاجته وفاقته لله الغني سبحانه، فالإلحاح في الدعاء مما يستدفع به البلاء، وتستنزله به النعماء، وهذا من هديه صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال: «كَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا» [صحيح مسلم ١٧٩٤].

قال النووي رحمه الله- تعليقا على هذا الحديث-: فيه استحباب تكرير الدعاء ثلاثاً، وقوله: «وإذا سأل» هو الدعاء، ولكن عطفه لاختلاف اللفظ توكيدا.

وفي صحيح البخاري (كتاب الطب- باب تكرير الدعاء): أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الله تعالى وكرر الدعاء لما سحره لبيد بن الأعصم اليهودي، وذكر حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا ثم دعا. [صحيح مسلم ٢١٨٩].

وهذا معبر عن شدة الفاقة، وصدق الإقبال على الله تعالى، وأن العبد إذا دعا لم يزل الله تعالى في حاجته ما لم يستعجل، فقد ضمن الله لك الإجابة فيما يختار، لا فيما تختار أنت، وفي الوقت الذي يريد، لا في الوقت الذي تريد، فالله يعلم ما ينفعك من نفسك.

فالله تعالى يحب الإلحاح في الدعاء؛ لما فيه من الانقياد والافتقار له تعالى، فمن يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له، كما ينبغي ألا يكون إلحاح المسلم على ربه عند الرخاء فحسب، أو أن يكون في الرخاء أقل من إلحاحه في الشدائد، ففي سنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء» [سنن الترمذي ٣٣٨٢ وحسنه الألباني].

البقية في العدد القادم إن شاء الله.

عوامل الصبر والثبات

العامل الخامس: القرآن الكريم

المستشار/ أحمد السيد علي

إعداد/

طى هذه الآيات خطابات للمسلمين، منها «يَبْتَغِيهِمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَسَّتْ لَهُمْ فِيهَا قِيَمَةٌ قَبِيرَةٌ» [التوبة: ٢١] وتصور لهم صورة أعدائهم من الكفرة الطغاة الظالمين يحاكمون ويصادرون، ثم «يَوْمَ يَتَحَوَّنُ فِي أَلْتَارِ عَنْ وُجُوهِهِمْ دُوفُؤًا مِّنْ سَمَرٍ» [القمر: ٤٨]. اهـ.

وما يزال القرآن معجزة الله الخالدة على مر الأزمان والعصور، ما تمسك به أحد إلا وكان عاملاً من عوامل الصبر والثبات، وكيف لا، وقد أخبر الله عز وجل في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بأنه سيبتلي المؤمنين بشتى أنواع الابتلاءات، وبشرهم بالصلوات منه والرحمة والهداية، فقال تعالى: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْغُيُوبِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْعُرْسِ وَبَشِيرٍ الْكُفْرِ (١٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ (١٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» (البقرة: ١٥٧/١٥٦).

ثانياً، تأثير القرآن كعامل من عوامل الثبات على بعض أنواع الصبر المختلفة:

أولاً: في الصبر على المصائب:

كان للقران اثر بالغ في نفوس الصحابة، في الصبر على المصائب، وليس أدل على ذلك مما رواه أبي بن كعب رضي الله عنه قال: (لما كان يوم أحد، أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة، في هم حمزة، فمثلوا بهم فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنربين عليهم. قال: فلما كان يوم فتح مكة فانزل الله تعالى: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ). فقال رجل: لا قرئ بعد اليوم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كفوا عن القوم إلا أربعة) (رواه الترمذي، وقال عنه الألباني: حسن صحيح) وفي رواية أخرى: (فقال رسول الله صلى الله عليه

والحمد لله حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على عبده ورسوله الذي اصطفاه على جميع أنامه، وعلى زوجاته الطاهرات، وعلى أصحابه الغر الميامين المتبعين لهديه في كل أحكامه.

وبعد، فما يزال الحديث موصولاً عن عوامل الصبر والثبات، ونعيش بمشيئة الله تعالى مع العامل الخامس الا وهو: القرآن الكريم.

أولاً: معنى كون القرآن الكريم عاملاً من عوامل الصبر:

قال المباركفوري في الرحيق المختوم: (وفي هذه الفترات العصبية الرهيبة الحالكة كانت تنزل السور والآيات تقيم الحجج والبراهين على صدق مبادئ الإسلام . التي كانت الدعوة تدور حولها . بأساليب منيعة خلافة، وترشد المسلمين إلى أسس قدر الله أن يتكون عليها اعظم واروع مجتمع بشري في العالم . وهو المجتمع الإسلامي . وتثير مشاعر المسلمين ونوازعهم على الصبر والتجلد، تضرب لذلك الأمثال، وتبين لهم ما فيه من الحكم « أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْعَلُوا الْحُكْمَ وَلَمْ يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ نَسْتَكْتُمُ الْأَسَاءَةَ وَالضَّرَّاءَ وَرَزَلُوا حَتَّى يَسْأَلَ الرُّسُلَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [البقرة: ٢١٤]، «لَا تَحِبُّوا الْأَنْفُسَ أَنْ يَكْفُرُوا أَلَمْ يَقُولُوا مَا كُنَّا وَعَمَّ لَا تَفْقَهُونَ» [البقرة: ١٠٦] «وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ» [العنكبوت: ١: ٣] كما كانت تلك الآيات ترد على إيرادات الكفار والمعاندين رداً مفحماً، ولا تبقى لهم حيلة، ثم تحذرهم مرة عن عواقب وخيمة . إن اصرؤا على غيهم وعنادهم . في جلاء ووضوح، مستدلة بأيام الله، والشواهد التاريخية التي تدل على سنة الله في أوليائه وأعدائه، وتلطفهم مرة، وتؤدي حق التفهيم والإرشاد والتوجيه حتى ينصرفوا عما هم فيه من الضلال المبين. وكان القرآن يسير بالمسلمين في عالم آخر، ويصبرهم من مشاهد الكون وجمال الربوبية، وكمال الإلهوية، واثار الرحمة والرافة، وتجليات الرضوان ما يحنون إليه حينئذ لا يقوم له أي عقبة. وكانت في

أحكام الصلاة

صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم

قراءة القرآن بعد الفاتحة

الجملة
الثالثة

د. حمدي طه

الحمد لله وصلى الله وسلم على سيدنا رسول الله، وبعد:

فقد بدأنا في العدد السابق الكلام على هدي النبي صلى الله عليه وسلم في قراءة السورة في الصلاة، وذكرنا فيه على سبيل الإجمال السور التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤها في الفروض الخمسة، وكذا صلاة الجمعة والعيدين، ونكمل في هذا العدد بيان قراءته صلى الله عليه وسلم في النوافل؛ لنستخلص مما ذكرناه الهدي العام لقراءته في الصلاة، وكما بدأنا بالقراءة في صلاة الصبح في الفروض نبداً بها أيضاً في النوافل:

١- ركعتا السنة لصلاة الصبح:

عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحقّف الركعتين اللتين قبل صلاة الصبح حتى إني لأقول هل قرأ بأمر الكتاب. (رواه البخاري ومسلم).

وقرأ فيهما النبي صلى الله عليه وسلم قل يا أيها الكافرون في الأولى، وقل هو الله أحد في الأخرى (رواه مسلم وأبو داود والنسائي).

وقرأ فيهما النبي صلى الله عليه وسلم في الأولى منهما الآية التي في البقرة (**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا**) إلى آخر الآية، وفي الأخرى (**عَمَّا نَسُأُهُ وَأَنَّهَذَا بِلَاغٌ مُّسْتَشْرِكٌ**) (رواه مسلم وأبو داود والنسائي).

وقرأ فيهما النبي صلى الله عليه وسلم (قل) أمنا بالله وما أنزل علينا) في الركعة الأولى، وفي الركعة الأخرى بهذه الآية (ربنا أمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) أو (إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) شك الدراوردي. (رواه أبو داود).

٢- سنة المغرب:

أما سنة المغرب البعدية فقرأ فيهما النبي صلى الله عليه وسلم (قل يا أيها الكافرون وقل هو الله

(أحد) (أحمد والنسائي)

٣- صلاة الوتر:

(قرأ فيها النبي صلى الله عليه وسلم في الركعة الأولى سبح اسم ربك الأعلى: وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد (رواه النسائي وأبو داود وابن ماجه).

وكان يضيف إليها أحياناً في الركعة الثالثة: قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس (رواه الترمذي وابن ماجه)، وقرأ فيها النبي صلى الله عليه وسلم في ركعة الوتر بمائة آية من النساء (رواه النسائي وأحمد).

٤- صلاة الليل:

عن عائشة قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين) رواه أحمد ومسلم.

وكان صلى الله عليه وسلم يقصر القراءة فيها تارة ويطلها أحياناً، ويبلغ في إطالتها أحياناً أخرى، كما في حديث حذيفة قرأ فيها النبي صلى الله عليه وسلم بالبقرة والنساء وال عمران (مسلم والنسائي).

(وكان يقرأ فيها النبي صلى الله عليه وسلم كل ليلة ببني إسرائيل والزمر (أحمد وأبو داود).

وقرأ فيها النبي صلى الله عليه وسلم في كل ركعة بقدر سورة يا أيها المزمل (أحمد وأبو داود).

(وقرأ فيها النبي صلى الله عليه وسلم في كل ركعة قدر خمسين آية أو أكثر) أخرجه الطبراني في الكبير وصححه الألباني.

(وقام ليلة بآية يرددها حتى أصبح وهي: **إِنْ**

عَلَيْتُمْ فَإِنَّهُمْ عَادُوا وَإِنْ تَقَرَّرْتُمْ فَمَا كُنْتُمْ لَكَفِرِينَ) (رواه أحمد والنسائي)، وأقر النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً على قيام الليل بسورة (قل هو

٢- مقدار القراءة في الصلوات الخمس:

لا بد من ملاحظة أن صلاة الصبح على العموم هي أطول صلواته عليه الصلاة والسلام، وقد قدرت قراءته فيها ما بين الستين إلى المائة آية في الركعة الواحدة، تليها في الطول صلاة الظهر، وقد قدرت قراءته فيها بثلاثين آية في الركعة الواحدة، وتعادلت صلاة العصر مع صلاة العشاء بمقدار خمس عشرة آية في الركعة الواحدة، وأن المغرب هي أخف وأقصر صلواته عليه الصلاة والسلام، وهذا كما قلت هو على العموم ولم يكن مُطرداً. [الجامع لأحكام الصلاة: محمود عبد اللطيف عويضة ٢/٢٢٩].

قلت: ويشهد لذلك حديثان من أجمع ما ورد في قدر قراءته صلى الله عليه وآله وسلم في الصلوات الخمس

الحديث الأول: وهو حديث جابر بن سمرة: (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في الفجر بق والقرآن المجيد ونحوها، وكان صلاته بعد إلى تخفيف). وفي رواية: (كان يقرأ في الظهر بالليل إذا يغشى، وفي العصر نحو ذلك وفي الصبح أطول من ذلك) رواهما أحمد ومسلم. وفي رواية: (كان إذا حضت الشمس صلى الظهر وقرأ بنحو من: «والليل إذا يغشى» والعصر كذلك، والصلوات كلها كذلك إلا الصبح فإنه كان يطيلها) رواه أبو داود.

الحديث الثاني: وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما رأيت رجلاً أشبه صلاة برسول الله - صلى الله عليه وسلم - من فلان، لإمام كان بالمدينة، قال سليمان بن يسار: فصلبت خلفه فكان يطيل الأوليين من الظهر ويخفف الآخرين، ويخفف العصر، ويقرأ في الأوليين من المغرب بقصار المفصل، ويقرأ في الأوليين من العشاء من وسط المفصل، ويقرأ في الغداة بطوال المفصل» رواه أحمد والنسائي.

والإمام الذي كان بالمدينة هو عمر بن عبد العزيز كما صرح بذلك إحدى الروايات.

هذا ما تيسر لنا جمعه من قراءته - صلى الله عليه وسلم - في الصلاة، سواء المفروضة أو النافلة التي صحح روايتها علماء الحديث، على أن نبدأ في الحلقة القادمة ببيان الأحكام العامة المستفادة من هديه في قراءته صلى الله عليه وسلم في الصلاة بادلته التفصيلية.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الله أحد)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن) (رواه البخاري).

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطَرِينَ»، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من قرأ في ليلة بمائتي آية فإنه يُكْتَبُ مِنَ الْقَانِتِينَ الْمُخْلِصِينَ) (الدارمي والحاكم)، ونهى أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث. (رواه أحمد بسند صحيح)، (وما كان صلى الله عليه وسلم يصلي الليل كله) إلا نادراً. (انظر في ذلك كتاب: صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم للعلامة الألباني ص ١٢٠).

ما يستفاد من الهدى العام

في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة:

١- ليست هناك سنة ثابتة في اختيار الآيات القرآنية لكل صلاة:

إن ما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة مما كان يقرؤه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الصلوات الخمس والنوافل يدل أنه ليست هناك سنة ثابتة في اختيار الآيات القرآنية لكل صلاة إلا في بعض الصلوات كصلاة فجر الجمعة وصلاة الجمعة والعيدين التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر فيها من قراءة بعض السور.

لذا فإن المسلم بالخيار بين قراءة هذه السورة أو تلك في هذه الصلاة أو تلك، فليست آية سورة من سور القرآن الكريم بأفضل من اختها لصلاة دون صلاة، يدل على ذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في الصلاة الواحدة بالمغرب مثلاً بقصار المفصل تارة، وبالسور الطويلة تارة أخرى، مما ينفي اختصاص آية صلاة مكتوبة بسور معينة، فالأمر إذن موسع، يبدأ بقراءة آية واحدة، وينتهي بمقدار ما يطيق المسلم قراءته من القرآن، فقد يقرأ المسلم الآيات الكثيرة، وقد يقرأ سورة قصيرة واحدة، وقد يقرأ السورتين، وقد يقرأ السور الكثيرة الطويلة منها والقصيرة، يختار ما يشاء بحسب قدرته وسعة وقته لاسيما في قيام الليل. [الجامع لأحكام الصلاة: محمود عبد اللطيف عويضة ٢/٢٢٦].

من سمات أهل الزيغ رد الأحاديث الصحيحة

المحكمة واتباع الأحاديث المتشابهة

الشيخ الدكتور عبد الحسن بن حمد العباد البدر

الكراهية عقولهم وأفئدتهم التي فرغت إلا من تدنيس تربة الخير والحق والعدل، إننا مخدوعون بأحكام الرجال عندما نستخدم أقوالهم قبل وضعها في ميزان الشك والنقد، فتكتسب قداسة شمولية، كفقولة النووي والذهبي وغيرهما بأن (كتاب البخاري أصح كتاب بعد القرآن)، لتتحول القداسة من التمحور حول الرجال كمعصومين، إلى شمول الأقوال كمقدس، وكان الله أنزل كتابين على المسلمين!^١

٢- «الهمة الشرسة على بعض الزملاء عندما التمس بقاعدة واضحة لنقد المتن تساؤلًا فطريًا مشروعًا حول بعض الأحاديث، كحديث شرب أبوال إبل، وحديث السمع والطاعة للأمر، وإن جلد ظهره وسرق مالك، تمنيت لو جاء رد أحد (المتدينين) - مع التحفظ على المصطلح - على الكاتب ردًا علميًا أمينًا، لكن للأسف وكالعادة جاءت غالبية الردود؛ ردود تصفية؛ حزبية الأصل والمنشأ، فضلت المشاركة إيمانًا بأن الله سبحانه يظهر حكمته لمن تقوده رغبة الحق أولًا، وتهفو أمانته للبحث الغاض عن الانتماءات العنصرية، إلى حيث رحابة العدالة وجدية الرؤية المبرهنة، بما توفره جاهزية المؤمن الصادق لقبول الحق باستشعار فؤاده أولًا، مصداقًا للحديث المرفوع للرسول صلى الله عليه وسلم: (إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأننا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عني أشعاركم وتفرق منه أشعاركم وتلين له أشعاركم وترون أنه بعيد منكم فأننا أبعدكم منه). فمؤمن يؤمن بقيمة قلبه وشعوره وبشريته وفطرته وصفاء سريرته حقيق عليه تقبل وتطبيق هذا المعيار، إلا أن للحزبيين ومصالحهم قولًا آخر،

الحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد

فإن من سمات أهل الزيغ رد الأحاديث الصحيحة القائمة عن النبي صلى الله عليه وسلم واتباع الأحاديث الضعيفة والمتشابهة، وقد اطلعت على مقالة نشرتها بعض الصحف ركبت فيها رأسها وحكمت عقلها، فرت حديث شرب أبوال إبل، الثابت في الكتب الستة وغيرها وهو حديث محكم واضح الدلالة، وعولت على حديث متشابه جاء في مسند الإمام أحمد (١٦٠٥٨) وغيره، وهو: «إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأننا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتفرق منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه بعيد منكم فأننا أبعدكم منه»، واعتبرته معيارًا لما يقبل وترد من الأحاديث بالعقل، وهذه طريقة أهل الزيغ يتبعون المتشابه الذي تقبله عقولهم ويدعون المحكم الذي لا تقبله عقولهم، وأورد هنا مقاطع من هذه المقالة الشيعة التي يتضح بالاطلاع عليها تلوث عقلها وشدّة انحرافها عن الحق والهدى، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما كما في فتح الباري (٣٣٣/٦): «من ترك الحق مرج عليه رأيه، والتبس عليه دينه»، قالت:

١- «تجافى جنوب الكارهين عن المضاجع، يصلون ليلهم بنهارهم شاحدين مهمهم، بحثًا عن ضحية يرمونها على مذبح الكراهية، وبكل التهم والحدق والضغينة والبغضاء ينهشون عرضها وإيمانها وعقلها وإنسانيتها، ثم يحشدون جنودهم - المؤدلجين لخدمة مصالحهم - ليتنادوا مبشرين بشطب الضحية ونفيها ومحوها، وما أن ينتهوا من ضحية - سواء أفلحوا في نصب شركهم ضدها أو أخفقوا - حتى يشرعوا رحلة التفتيش عن ضحية أخرى، هدف واحد تحمله على أكف

يردون كل حديث له مع الإنسانية التقاء طريق، في تهافتهم المحموم بعقيدتهم الكارهة المطلقة في عبثيتها إلى دروب الغي والضلال والتعدي الصريح على الإنسان فيسوقونه لمهاترات لا ينتهي سوقها؛ فبائع منها ومشتري.. ألا كسدت تجارة المبطلين؟

ولئن كان استتعار صحيح الرواية من سقيمها واضحا لأهل النفوس؛ دقيقة الحس والتصوير والفهم، فيردفها قواعد تعينها على التمييز، فالفقهاء خاصة بعد مقتل عثمان بن عفان والحسين بن علي رضي الله عنهما وضعوا قواعد لنقد المتون لمواجهة حركة وضاعي الحديث الذين كثروا مع طلائع الحكم الملكي في عصر بني أمية، وحركة الوضاعين هدفها الدس والكذب على الرسول الكريم لتسويه الشرع وطمس حقائق القرآن، ومقاصد الشرع.

وهذه بعض التعليقات على ما تضمنته هذه المقاطع:

١- ما ذكرته في المقطع الأول من وصفها بالكرامية للذابين عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة المنكرين على من تناول عليها بالرد والاستهزاء، يُجاب عنه بأن بيان الحق وإنكار المنكر واجب، والحب في الله والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان، فالمسلم العاقل يحب كل من يحبه الله ورسوله من الذوات وكل ما يحبه الله ورسوله من الاعتقادات والأقوال والأفعال، ويبغض كل من كان وما كان بخلاف ذلك، وليست المحبة والكرامية محبة وكرامية أهل الانحراف الذين يحبون من لا يتعرض لأنحرافهم ولو كان كافرا ويكرهون كل من يتعرض لباطلهم من أهل السلامة والاستقامة على الحق والهدى، وقد قال الله عز وجل: **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** [المجادلة: ٢٢]

، وقال: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِن اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَّخِذْ مِنْكُمْ أَوْلِيَاءَ فَلَا تَتَّبِعُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا بِكُم مَّرَافِقًا** [التوبة: ٢٣]. وقال: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا بِكُم مَّرَافِقًا أَوْلِيَاءَ لَوْ كَانُوا آبَاءَكُمْ أَوْ إِخْوَانَكُمْ أَوْ عَشِيرَتَكُمْ** [المائدة: ٥٧].

٢- وأما ما ذكرته من تسلسل الردود على المنحرفين عن جادة الحق والصواب الذين أطلقت عليهم «ضحايا» فسبب هذا التسلسل عدم حصول التأديب لأوائلهم ذلك التأديب الذي يمتنع معه وقوع من بعدهم بمثل ما وقعوا فيه، كما قال عثمان رضي الله عنه: «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع

يردون كل حديث له مع الإنسانية التقاء طريق، في تهافتهم المحموم بعقيدتهم الكارهة المطلقة في عبثيتها إلى دروب الغي والضلال والتعدي الصريح على الإنسان فيسوقونه لمهاترات لا ينتهي سوقها؛ فبائع منها ومشتري.. ألا كسدت تجارة المبطلين؟

ولئن كان استتعار صحيح الرواية من سقيمها واضحا لأهل النفوس؛ دقيقة الحس والتصوير والفهم، فيردفها قواعد تعينها على التمييز، فالفقهاء خاصة بعد مقتل عثمان بن عفان والحسين بن علي رضي الله عنهما وضعوا قواعد لنقد المتون لمواجهة حركة وضاعي الحديث الذين كثروا مع طلائع الحكم الملكي في عصر بني أمية، وحركة الوضاعين هدفها الدس والكذب على الرسول الكريم لتسويه الشرع وطمس حقائق القرآن، ومقاصد الشرع.

وبمنهجية صارمة كان الفقهاء لا يقبلون أي متن لأي حديث مهما بلغت صحة سنده إلا بما وافق شروط التصحيح، فشروط المتن تقي من أي أخطاء في النقل يقع من صحابي أو غيره، ومع هذه الشروط لا يعني عدم احتمال وقوع الغلط منهم، فقد خطأ الصحابة بعضهم بعضا كما في استدراكات عائشة على الصحابة، لذا كانت قواعد نقد المتن وسيلة علمية للتدقيق في صحة الحديث، فالقواعد المنهجية في قبول متن الحديث تشمل ١٥ قاعدة لا يقبل الحديث متنا إذا صادم واحدة منها، من هذه القواعد: ألا يخالف بدهيات العقول، ألا يخالف القواعد العامة في الحكمة -الطب- والأخلاق، ألا يشتمل على سخافات يصابن عنها العقلاء، والطب والحكمة والعقل ترد متن رواية شرب أبوال الإبل بحسب المنهجية التي اعتمدها الفقهاء في الشرطين السابقين، فإذا اضيف لهما معيار الحس والذوق السليم الذي حواه الحديث الأول فإن تصور شرب بول الإبل تنفر منه المهج السليمة، وتكره قلوب وأشعار وأبشار المؤمنين، أما إن أبي من أبي فليشرب أبوال الإبل، ولن يمنعه منكر مستهجن بقلبه وحسه وشعوره، وليضرب بشروط الفقهاء عرض الجدار وطوله».

٣- «الرواية وإن كانت في البخاري يجوز للفرد ردها بعقله حتى لو لم يكن متخصصا».

٤- «بهيمنة التيار المنغلق أغلقت أبواب العقل،

بالقرآن» وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في حق الكفار الذين يعاهدونه وينقضون العهد إذا لقيهم في الحرب أن يجعلهم نكالا لمن بعدهم من الكفار فقال: **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾** **الذِّبْرُكَ عَهْدَتْ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْوَةٍ وَهُمْ لَا يُتَّقُونَ ﴿٥٦﴾** **وَأَمَّا تَتَقَفْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفْتُمْ لَعَلَّهُمْ بَدُّكُرُوكَ** (الأنفال: ٥٥-٥٦)، وكذلك أهل الزيف والضلال المخرفون عن جادة الصواب إذا حصلت العقوبة لأوائهم كانت سببا في سلامة من بعدهم من الانحراف المستوجب للعقوبة.

٣- وأما ما ذكرته من استنكارها على النووي والذهبي أن صحيح البخاري أصح كتاب بعد القرآن، وأن في ذلك تقديسا للرجال والكتب، فإن من المعلوم أن التعويل على كلام أهل العلم والفقه في الدين وليس على كلام أهل الزيف والانحراف، والكتب المؤلفة في الصحيح أصحها صحيح البخاري وصحيح مسلم، قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣٢١/٢٠): «فإن الذي اتفق عليه أهل العلم أنه ليس بعد القرآن كتاب أصح من كتاب البخاري ومسلم»، ولن يضير هذا الذي اتفق عليه أهل العلم أن ينكره من هو أجنبي عن العلم الشرعي.

والسنة وحى من الله كما قال الله عز وجل: **وَمَا يَتَّبِعُ عَنِ الْمَرْيَةِ ﴿٢٠﴾** **إِنْ هُوَ إِلَّا رَيْبٌ يَرِيحُ**، وقال: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا»، وقال: «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم»، ثم متى كان أهل الزيف والضلال مؤهلين لنقد الأحاديث والرجال والكتب باهوائهم؟!

٤- ما ذكرته في المقطع الثاني من تأييدها لبعض الكتاب في إنكار الندائوي بشرب ابوال إبل وعدم التصديق به، وإن كان مرويا في الصحيحين وغيرهما؛ هو من أمثلة وقوع الطيور على أشكالها، وهو من التعاون على الإثم والعدوان واتباع الأهواء والشهوات، وقد قال الله عز وجل: «وكذلك نولي بغض الظالمين بغضا بما كانوا يكسبون». وأما ما ذكرته من التعويل على حديث: «إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم» السالف الذكر واعتباره معيارا لما يقبل ويؤرد من الأحاديث، فيجاب عنه بأن ممتنه من المتشابه ولا يجوز اعتباره معيارا لما يقبل

من الأحاديث بالعقل؛ لأن العقول متفاوتة، فما يقبله عقل هذا ينكره عقل هذا، وما ينكره عقل هذا يقبله عقل هذا، ثم إن أكمل العقول عقول الصحابة ومن سار على نهجهم، وهؤلاء هم المعنيون بهذا الحديث، وليس معناها به الذين يتبعون المتشابه اعتمادا على عقولهم من التغريبيين الماكرين بهذه الأمة حكومة وشعبا.

وقد ذكر المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير (٣٨٢/١): أن المراد به المؤمنون الكاملون الإيمان الذين استضاءت قلوبهم من مشكاة النبوة، وقال الشيخ الألباني معلقا على الحديث في كتابه صحيح الجامع الصغير (٦١٢): «الخطاب خاص بالصحابة وأهل العلم بالحديث ونقاده ممن هم مثلهم في صفاء القلوب وطهارة النفوس والمعرفة بسيرته صلى الله عليه وسلم».

وأيضا فإنه يلزم على طريقة هؤلاء المتكلفين الذين اعتبروه معيارا لما يقبل ويؤرد من الأحاديث أن كل حديث ينسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو صحيح المعنى أن يقبل ولو كان موضوعا، مثل حديث: «ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد» رواه الطبراني من طريق عبدالقدوس بن عبدالسلام بن عبدالقدوس بن حبيب عن أبيه عن جده عن الحسن عن أنس، أورده الألباني في: «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» (٦١١) وقال عنه «موضوع؛ عبدالقدوس الجد كذاب، وإينه اتهمه بالوضع ابن حبان»، ومتمنه جميل المعنى تقبله العقول، ومع ذلك لا يجوز نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه مكذوب عليه.

ومع وضوح كون هذا الحديث متشابها فإن الجريفة تؤكد على اعتباره معيارا لما يقبله العقل لما يقبل ويؤرد من الأحاديث، وذلك بقولها: «فمؤمن يؤمن بقيمة قلبه وشعوره وبشريته وفطرته وصفاء سريرته حقيق عليه تقبل وتطبيق هذا المعيار، إلا أن للحريبين ومصلحهم قولا آخر، يردون كل حديث له مع الإنسانية التقاء طريق!!» وأهل السنة الذين وصفتهم بالحريبين يصديقون بكل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإنسان والجان وغير ذلك.

٥- أما ما زعمته أن الذين وصفتهم بدقة الحس يميزون بين الصحيح والضعيف بذلك وبما

الخديري رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أخي يشتكي بطنه، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتى الثانية، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه، فقال: اسقه عسلاً، فقال: صدق الله وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً، فسقاه قبراً».

٨- وأما حديث السمع والطاعة للأمر وإن جلد الظهر وأخذ المال الذي أنكرته، فقد أخرجه مسلم عن حذيفة رضي الله عنه من طريقين (٤٧٨٤، ٤٧٨٥) وهو يتعلق بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم وعدم الخروج على الولاة وإن جاروا، ولفظ الطريق الأولى: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، ولفظ الثانية: «تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع»، وهذه عقيدة السلف كما قال الطحاوي في عقيدة أهل السنة والجماعة: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا»؛ لأن الضرر الذي يحصل بالخروج عليهم أضعاف الذي يحصل بجورهم.

٩- وما أقبح وأشنع وأفظع ما ذكرته في المقطع الثالث وهو: «فالرواية وإن كانت في البخاري يجوز للفرد ردها بعقله حتى لو لم يكن متخصصاً!! فإنه يوضح منتهى الانفلات والتمرد على شرع الله ودينه ورد السنة الصحيحة بالعقول السخيفة الفاسدة من كل من هب ودب».

١٠- ما زعمته من ذم عصر الخليفة العباسي المتوكل ووصفه بعصر الانحطاط وأنه هيمن على الوعي الإسلامي فيه فضل النقل على العقل، أقول: هذا كلام لا يصدر إلا من عقول منكوسة، والخليفة المتوكل رحمه الله هو الذي أظهر السنن وأمات البدع، ولا يذم ما حصل في عهده من إظهار السنن إلا من أعنى الله بصيرته، وكيف يذم عصر هيمن فيه على الوعي الإسلامي فضل النقل على العقل؟!.

هذا وأسأل الله عز وجل أن يوفق بلاد المسلمين لكل خير ويحفظها من كل شر، وأن يقبها شر الأشرار وكيد الفجار من الغربيين والتغريبيين، وأن يهدي من ضل من المسلمين ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وضعه الفقهاء من قواعد: فهي دعوى لا مكان لها ولا اعتبار بها؛ لأن عقول أهلها تلوثت بما يريده أعداء الإسلام من القدرح في دين الإسلام على أيدي بعض أبناء المسلمين الذين شنوا عنهم واتبعوا غير سبيلهم، والحقيقون بأوصاف دقة الحس وسلامة التصور وحسن الفهم هم أهل الحق والهدى الذين يعولون على النقل ويتهمون العقول، ثم من هم الفقهاء الذين زعمت التعويل على قواعدهم في نقد الأحاديث؟! وبلا شك أنها لا تعني فقهاء الشريعة الذين يعولون على الأحاديث الصحيحة ولا يقدرحون فيها باهوائهم، وإنما تعني فقهاء جنسها ممن يجلب الضرر لنفسه ولمن يقتدي به، ولهذا قالت: «وبمنهجية صارمة كان الفقهاء لا يقبلون أي متن لأي حديث مهما بلغت صحة سندته إلا بما وافق شروط التصحيح»، ومن أبرز فقهاء الشريعة الذين صنفوا في الفقه كتباً واسعة الإمام أبو عمر ابن عبد البر (٤٦٣هـ) وكتابه: «الاستنكار»، والإمام عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) وكتابه: «المغني»، والإمام أبو زكريا يحيى النووي (٦٧٦هـ) وكتابه: «المجموع شرح المهذب»، وقد حماهم الله من وضع قواعد لرد الأحاديث الصحيحة بعقولهم.

٦- وأما زعمها أن تصور شرب أبوال الإبل تنفر منه المهج السليمة فهو كلام غير مستقيم، والرسول صلى الله عليه وسلم لا يرشد إلا إلى شيء مباح الأكل والشرب، وليس معناه أن المطلوب من كل أحد أن يشربه، فإن الناس متفاوتون فيما تقبله النفوس من الأطعمة والأشربة المباحة، فمنهم من يعجبه طعام أو شراب تعافه نفس غيره كما حصل للرسول صلى الله عليه وسلم في عدم أكل الضب؛ لأن نفسه تعافه ولم يالف أكله، وقد أقر الصحابة الذين أكلوه بحضرتهم ممن تشبهه نفوسهم.

٧- وأما زعمها أن الطب والحكمة والعقل ترد متن رواية شرب أبوال الإبل، فمن المعلوم أن العقول السليمة تقبل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك مقتضى الحكمة، وأما رده من جهة الطب فلم تشر الجريدة إلى دراسة طبية تؤيد ما زعمته، ولا يرد الطب الصحيح ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل الدراسات الطبية تؤيد ما جاءت به السنة، وفي صحيح البخاري (٥٦٨٤) ومسلم (٥٧٧٠) عن أبي سعيد

فتاوى

حكم المساهمة في الشركات

والمؤسسات المطروحة أسهمها للاكتتاب العام

س: هل تجوز المساهمة في الشركات والمؤسسات المطروحة أسهمها للاكتتاب العام في الوقت الذي نحن يساورنا فيه الشك من أن هذه الشركات أو المؤسسات تتعامل بالربا في معاملاتها، ولم نتأكد من ذلك مع العلم أننا لا نستطيع التأكد من ذلك، ولكن كما نسمع عنها من حديث الناس؟

ج: الشركات والمؤسسات التي لا تتعامل بالربا وشيء من المحرمات تجوز المساهمة فيها، وأما التي تتعامل بالربا أو شيء من المحرمات فتحرم المساهمة فيها، وإذا شك المسلم في أمر شركة ما فالأحوط له ألا يساهم فيها؛ عملاً بالحديث: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»، وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر: «من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه». وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

أسئلة في بيع الذهب القديم والجديد

س١: صانع يأخذ أجرة الصناعة على الذهب، ويتم ذلك إما في صورة بيع ذهب ويتقاضى ثمنه مع الأجرة، أو تبادل ذهب بذهب ويأخذ أجرة الصناعة بما فيها مكسبه.

ج١: أخذ الأجرة على صناعة الذهب مع قيمة المبيع لا شيء فيه إذا بيع بغير جنسه، كالورق النقدي، أما إذا بيع بجنسه كذهب بذهب مع أخذه أجرة فلا يجوز؛ لما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض» لا تفاضلوا ولا تزيدوا، ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثلاً بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا منها غائباً بناجراً.

س٢: يبيع ذهباً قديماً على أنه جديد (يعني: لم يلبس بعد) وهذا يكون إما في صورة شرط قد اشترطه، أو يكون ضمناً، وسيحاسب عليه محاسبة الجديد، وفي هذه الحالة يكون أخذ ثمن الدفعة، وهي لا تؤخذ إلا على الجديد (وهذه الدفعة تأخذها الحكومة في مقابل أنها تدفع الذهب بعد التأكد من أنه عيار ٢١ أو ١٨، وهي تأخذها من الصانع، والصانع يأخذها من المشتري، وهذا يكون على الجديد فقط).

ج٢: لا يجوز بيع الذهب القديم على أنه جديد؛ لأن هذا فيه غش وتدليس وكذب، قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» [التوبة: ١]، وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من غشنا فليس منا» وكذلك أخذ أجرة الدفعة على الذهب القديم لا يجوز؛ إذا كان المشتري لا يدفعها إذا علم أن الذهب قديم.

استلام الرواتب عن طريق البنك

س: مجموعة من موظفي الدولة، في الآونة الأخيرة، بدأت إدارتنا بصرف رواتبنا الشهرية بشيكات على بنك تجاري، مما أثار في نفوسنا الشك والريبة حيال قبولنا لطريقة هذا الصرف؛ لذا أريدنا عرض هذا الموضوع على سماحتكم راجين إفادتنا عن مدى تقبل صرف رواتبنا عن طريق هذا البنك أو ما يعالنه، علماً أن العقد المبرم بين البريد والبنك الأهلي أن يتم إيداع صفاتي الرواتب في البنك خلال الأسبوعين الأولين من كل شهر، ويبدأ صرف الرواتب في ٢٥ من كل شهر، أي بعد ١٠ أيام من الإيداع.

ج: لا بأس بأخذ الرواتب التي تصرف عن طريق البنك؛ لأنك تأخذها في مقابل عملك في غير البنك، لكن بشرط أن لا تتركها في البنك بعد الأمر بصرفها لك من أجل الاستثمار الربوي.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء



سارع اخي المسلم واختي المسلمة

بالمشاركة بجزء من مالك ومن
الزكوات أو الصدقات لنشر
التوحيد من خلال المشاركة في
الأعمال التالية:

طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجاناً
تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشاً .. يطبع
من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.

نشر تراث الجماعة من خلال طباع المجلة
وتجليد أعداد السنة في مجلد واحد وذلك
لعمل كرتونة كاملة ٢٨ سنة من المجلة.

دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد
- نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء
الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

نحن بانتظاركم .. يمكنكم المشاركة ودعم ذلك

بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي .
.. فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد.

مفاجأة سارة

الآن



موسوعة التوحيد

ببلاش

- بشري سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بأحاء الجمهورية .
- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .
- استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقَدَّم ؛ فقط ادفع ٧٥ جنيهاً بعد الاستلام على عشرة أشهر .
- من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُرَكَّب من الفرع .
- علماً بأن نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق به من قبل الفرع موجود على موقع أنصار السنة وصفحة الفيسبوك الخاصة بكل من رئيس التحرير وصفحة مجلة التوحيد .
- هدية لكل من يرغب في اقتناء كرتونة المجلدات عبارة عن فهرس عام للمجلة وفهرس موضوعي يسلم بعد طبعه للفروع والمشاركين .

ومفاجأة أخرى
المجلد الجديد لعام ١٤٣٣ هـ
موجود الآن؛ سارع بالحصول عليه بـ ٢٥ جنيهاً فقط



23936517